﴿٣٤﴾ ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴾

ويقال لهؤلاء الأتقياء: ادخلوا الجنة - وأنتم سالمون - من الآفات والأخطار، ناجون من الأهوال والعذاب، ولكم الأمن من كل مخوف ومكروه، ذلك هو يوم الخلود في جنات النعيم، فلا يموتون فيها ولا يخرجون منها ولا ينقطع نعيمهم.

﴿٣٥﴾ ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾

لهؤلاء الأتقياء في جنات النعيم ما يريدون وما تشتهيه أنفسهم، وعند الله لهم زيادة على ما تفضل به عليهم من نعيم وتكريم، فهم أبدًا في حبور وسرور، ومن هذه الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم عز وجل.

﴿٣٦﴾ ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴾

وكم أهلك الله قبل كفار مكة من أمم سابقة مكذبة، كانوا أشد من كفار مكة في البأس وأقوى في الأجسام، فساروا في البلاد، وبنوا وشيدوا، فهل كان لهم من مهرب أو ملجأ من عقاب الله لما حل بهم؟

﴿٣٧﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾

إن في إهلاك الأمم السابقة الكافرة لعظة لمن كان له قلب يفقه به عن الله آياته وحججه، أو أصغى بسمعه وهو حاضر بقلبه غير غافل ولا ساهٍ.

﴿٣٨﴾ ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾

ولقد خلق الله السموات السبع والأرض وما بينهما من سائر الموجودات في مدة ستة أيام، وما أصاب اللهَ من ذلك الخلق تعبٌ ولا نصب، - تعالى عن ذلك - فهو القوي العظيم، فمن باب أولى قدرته - سبحانه - على البعث بعد الموت.

﴿٣٩﴾ ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴾

فاصبر - أيها الرسول - على قول الكفار من التكذيب والاستهزاء، فإن الله سوف يجازيهم على ذلك، وصل لله مع حمده صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وصلاة العصر قبل غروبها.

﴿٤٠﴾ ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾

وصل لله من الليل صلاة العشاء وصلاة الفجر، وسبح بحمد الله بعد كل صلاة، وجاء ذكر الصلاة مع الصبر؛ لأنها أعظم ما يعين العبد على المصائب والمحن.

﴿٤١﴾ ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾

واستمع يوم ينادي الملك بالنفخ في القرن من مكان قريب من كل أحد .

﴿٤٢﴾ ﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴾

يوم يسمع الناس صيحة البعث بعد الموت بالحق الذي لا ريب فيه ولا شك، ذلك هو يوم خروج العباد من قبورهم للحساب.

﴿٤٣﴾ ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴾

إن الله يحيي الخلق بعد الموت، ويميتهم في الدنيا بعدما أحياهم، وإليه - سبحانه - يعودون ليحاسبهم على أعمالهم.

﴿٤٤﴾ ﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴾

يوم تتصدع قبور الموتى ليخرجوا منها للحساب، فيسرعوا إلى الداعي في موقف الحشر، ذلك الجمع والحساب سهل على الله يسير عليه؛ لتمام قدرته.

﴿٤٥﴾ ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾

الله أعلم بما يقول الكفار من تكذيب وسخرية، وما أنت - أيها الرسول - بمسلّط عليهم لتجبرهم على الإيمان، وإنما أنت مبلغ عن الله رسالته، فذكِّر بالقرآن من يخشى الله ويحذر لقاءه؛ لأن الذي لا يخاف الوعيد لا تنفعه الموعظة.

مكية

سورة الذاريات

ترتيبها ٥١

آياتها ٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾

أقسم الله - تعالى - بالرياح التي تثير التراب وتنشر السحاب.

٢ ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾

وأقسم - سبحانه - بالسحب التي تحمل حملاً ثقيلاً كثيرًا من الماء.

٣ ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾

وأقسم - سبحانه - بالسفن التي تسعى على ظهر البحر بسهولة ويسر.

٤ ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾

وأقسم - سبحانه - بالملائكة التي تقسم أمر الله ورزقه بين عباده.

٥ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾

إن الذي وعدكم الله به - أيها الناس - من البعث بعد الموت والحساب على الأعمال واقع لا محالة، لا شك فيه ولا ريب.

٦ ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾

وإن يوم الجزاء على الأعمال من ثواب وعقاب لحق لا شك فيه سوف يقع كما وعد الله به.

٧ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾

وأقسم الله بالسماء ذات الشكل الجميل المحكم المتقن.

٨ ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾

إنكم - أيها الكفار - لفي قول متناقض في كتابه وفي رسوله ﷺ فلم تثبتوا على قول.

٩ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾

يُصرف عن الانتفاع بالقرآن واتباع الرسول من صرف الله قلبه عن الإيمان بكتابه ورسوله ﷺ وصُرِفَ عن فهم براهين الله والانتفاع بحججه فلم يهتدِ.

١٠ ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾

قتل الكذابون أهل الظن والريب والوهم في الحق.

١١ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾

الذين هم في لجة وظلمة من التكذيب والكفر، مستمرون في الغفلة، متمادون في الغواية.

١٢ ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾

يسأل الكفار - تكذيبًا واستبعادًا -: متى يوم القيامة الذي يقع فيه حساب الناس؟

١٣ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾

يوم الحساب هو يوم يعذب الكفار بالنار ويحرقون فيها.

﴿١٤﴾ ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ ۖ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾

ويقال للكفار في النار: ذوقوا هذا العذاب الذي كنتم تستعجلون به في الدنيا وتستبطئونه.

﴿١٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾

إن الذين اتقوا ربهم بفعل طاعته واجتناب معاصيه في بساتين كريمة، وحدائق عظيمة، وعيون ماء عذب جارية.

﴿١٦﴾ ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾

تفضل عليهم بأنواع المسارّ وأصناف النعيم ومختلف ما أحبوا: إنهم كانوا قبل هذا النعيم والتكريم محسنين في الدنيا بعمل الطاعات وترك المحرمات.

﴿١٧﴾ ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾

كان هؤلاء الأبرار لا ينامون من الليل إلا قليلاً، يصلون لربهم ويدعونه ويستغفرونه وهو التهجد.

﴿١٨﴾ ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

وفي وقت السحر قبل الصبح يستغفرون الله لذنوبهم، والأسحار أفضل وقت لاستغفار الأبرار.

﴿١٩﴾ ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾

وفي أموال الأبرار حق وصدقة نافلة لمن سأل من المحتاجين، ولمن منعه الحياء من السؤال.

﴿٢٠﴾ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾

وفي الأرض براهين ظاهرة وآيات باهرة يستدل بها الموقن على قدرة الله ووحدانيته فيزداد يقينًا.

﴿٢١﴾ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

وفي خلق الإنسان براهين على عظمة الله وقدرته وحسن إتقانه، تدل على وحدانيته، فإن من تفكر في خلقه انبهر من عجيب قدرة الباري وازداد إيمانًا.

﴿٢٢﴾ ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾

وفي السماء رزق الناس مما كتبه الله وقدره في اللوح المحفوظ، ومما وعد الله عباده من ثواب وعقاب وخير وشر، وسراء وضراء، كل ذلك مسطر مقدر.

﴿٢٣﴾ ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾

أقسم الله بذاته الجليلة تقدست أسماؤه أن ما وعد الله به حق لا شك فيه، واقع لا راد له، فهو مثل نطقكم بالكلام الذي لا تشكون فيه.

﴿٢٤﴾ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾

هل جاءك - أيها الرسول - خبر ضيوف إبراهيم - عليه السلام - الكرام على الله، الذين وجدوا الكرامة عند إبراهيم.

﴿٢٥﴾ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾

يوم دخلوا على إبراهيم في بيته فسلموا عليه فرد عليهم بالسلام، ولم يعرفهم فهم غرباء عليه.

﴿٢٦﴾ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾

فمال إلى أهله مستخفيًا فأخذ عجلاً سمينًا فذبحه وأنضجه.

﴿٢٧﴾ ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾

فأتى بالعجل فوضعه بين أيديهم ورحب بهم متلطفًا وقدمهم على الطعام قائلاً: ألا تأكلون؟!

٢٨ ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾

فلما أبصرهم إبراهيم لا يأكلون طعامه وجد في نفسه خوفًا منهم، قالوا له: لا تخف منا فنحن رسل من الله، وبشروه بولد سوف يكون عالمًا بدين الله، وهو إسحاق من زوجة إبراهيم (سارة).

٢٩ ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾

فلما سمعت سارة بشارة الملائكة لإبراهيم بولدٍ منها جاءت إليهم وصاحت صيحة وضربت وجهها تعجبًا من هذه البشرى، وقالت: كيف أنجب ولدًا وأنا عجوز كبيرة وعقيم لا ألد؟!

٣٠ ﴿ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾

قالت الملائكة لسارة: هكذا قال ربك وَقدَّرَ ذلك كما بشرناكم، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه أمر، إنه حكيم في تدبيره وقضائه، يضع الشيء في موضعه، عليم بمصالح العباد وما ينفعهم.

٣١ ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾

قال إبراهيم - عليه السلام - للملائكة: ما خبركم وما سبب إرسالكم إليَّ؟

٣٢ ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾

قالت الملائكة: إن الله أرسلنا إلى قوم قد كفروا بالله وتعدوا حدوده.

٣٣ ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾

لنرميهم بحجارة من طين، نُضِّج بالإحراق، متحجر وصلب.

٣٤ ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾

على كل حجر علامة عند الله لمن تعدى حدوده بالذنوب والخطايا.

٣٥ ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

فأخرج الله من قرية قوم لوط أهل الإيمان بالله لئلا يصيبهم العذاب.

٣٦ ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

فما كان في هذه القرية إلا بيت واحد ممن أسلم، وهم بيت لوط عليه السلام.

٣٧ ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

وأبقى الله في هذه القرية علامة ظاهرة تدل على قدرة الله وعظمته وقهره لأعدائه، وهذه عظة لمن خشي العذاب الموجع المؤلم من الله.

٣٨ ﴿ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾

وفي إرسال الله موسى إلى فرعون، وإتيان موسى بالبراهين الظاهرة والمعجزات الباهرة عبرة لمن خاف عذاب الله وعظمة لمن اتقاه.

٣٩ ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾

فأدبر فرعون متكبرًا وأعرض متجبرًا مغترًا بما عنده من القوة وقال عن موسى: إنه ساحر غُلب على عقله، أو مجنون ذاهب العقل.

٤٠ ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾

فأخذ الله فرعون وجنوده فأغرقهم في البحر، وقد جاء فرعون بما يلام عليه من الكفر والتكذيب والطغيان.

﴿٤١﴾ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾

وفي خبر عاد وتدميرهم عبر وعظات لمن تدبر، إذ أرسل الله عليهم الريح التي لا خير فيها ولا نفع، لا تحمل مطرًا ولا تلقح شجرًا.

﴿٤٢﴾ ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾

ما تترك شيئًا مرت عليه إلا حولته إلى حطام وهشيم.

﴿٤٣﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾

وفي قصة ثمود وتدميرهم عظة للمعتبر، إذ قيل لهم: تمتعوا بما أنعم الله به عليكم طيلة أعماركم.

﴿٤٤﴾ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾

فأعرضوا عن دين الله وعصوا رسوله فأهلكهم الله بصاعقة العذاب، وهم يرون الموت يحصدهم.

﴿٤٥﴾ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾

فما قدروا أن ينهضوا مما أصابهم من عذاب الله، وما قدروا على الفرار من أمرهم، وما استطاعوا الدفاع عن أنفسهم.

﴿٤٦﴾ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

وعذب الله قوم نوح من قبل من تقدم من الأمم؛ لأنهم كانوا متعدين لحدود الله مسرفين في المعاصي.

﴿٤٧﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾

والسماء رفعها الله وسواها وأتقن مبناها باقتدار وقوة، وقد وسع الله خلقها وأطرافها.

﴿٤٨﴾ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾

وجعل الله الأرض فراشًا للخليقة؛ فمهدها وسواها ليستقر عليها كل مخلوق، فنعم الباسط لها والممهد الله عز وجل.

﴿٤٩﴾ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

وخلق الله من كل أنواع المخلوقات نوعين مختلفين ذكرًا وأنثى، لتتذكروا وحدانية الله وعظمته، فالمخلوقات زوجان، والله واحد بلا ثانٍ لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد.

﴿٥٠﴾ ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

فاهربوا - أيها العباد - من عذاب الله إلى رحمته بطاعته، إني - أي الرسول ﷺ - لكم - أيها الناس - نذير من عذاب الله، واضح الإنذار، ظاهر الحجة، صادق القول.

﴿٥١﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

ولا تشركوا بالله شيئًا فتعبدوا إلهًا غيره، إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد، وإنذاري بيّن لا يخفى على أحد لتمام الحجة.

﴿٥٢﴾ ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾

كما كذب الكفار محمدًا رسول الله ﷺ فقد سبقهم في التكذيب أمم كثيرة كانوا يقولون لرسلهم: هذا ساحر خيل إليه، أو مجنون ذاهب العقل، كما فعلت قريش مع رسولنا ﷺ.

﴿٥٣﴾ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾

هل أوصى الأولون الآخرين بتكذيب الرسل؛ لأنهم اتفقوا كلهم على التكذيب؟ بل هم قوم متجاوزون للحد في العصيان، تشابهت قلوبهم وتوافقت أعمالهم على التكذيب والكفر، فقال الآخر كما قال الأول.

﴿٥٤﴾ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾

فأعرض - أيها الرسول - عن الكفار حتى يحل بهم ما أنذرتهم به، فقد بَلَّغْتَ الرسالة ولا يلومك أحد.

٥٥ ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

ومع إعراضك عن الكفار وعدم المبالاة بتكذيبهم فاستمر في الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته، فإن الموعظة يستفيد منها المؤمن فيزداد يقينًا وخشية، وتقوم الحجة على العاصي.

٥٦ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

وما خلق الله الجن والإنس إلا لعبادته - سبحانه - وحده دون سواه وعدم الإشراك به، وهي دعوة الرسل جميعًا.

٥٧ ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾

ما خلق الله الجن والإنسان ليرزقوه - سبحانه -، فهو رزاق كل المخلوقات، ولا يريد أن يطعموني، فهو يُطعِم ولا يُطعَم، وهو غني عن الخلق، والخلق فقراء إليه.

٥٨ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾

إن الله وحده هو الذي يرزق كل المخلوقات، قد ضمن رزقهم، وهو ذو القوة المتين، يقهر من حاربه ويخذل من غالبه، قدير لا يعجزه شيء، قوي لا يُقهر ولا يُغلب.

٥٩ ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾

فإن للظالمين أنفسهم بالكفر بالله وتكذيب رسوله نصيبًا من عذاب الله سوف يحل بهم مثل نصيب من وافقهم من الأمم السابقة المكذبة، فلا يستعجلون العذاب ولا يستبطئوه فالعذاب نازل بهم بلا شك.

٦٠ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾

فدمار وهلاك وسوء عاقبة للكفار من يوم القيامة الذي وعدهم الله به في الدنيا.

مكية

سورة الطور

ترتيبها ٥٢

آياتها ٤٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿ وَٱلطُّورِ ﴾

أقسم الله بالطور، وهو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى - عليه السلام - وهو في سيناء.

٢ ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾

وأقسم الله بالقرآن المكتوب في الصحف المسطر في الأوراق.

٣ ﴿ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾

والقرآن كُتب في صحف منشورة، وسطر في جلود رقيقة .

٤ ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾

وأقسم الله بالبيت المعمور بالملائكة في السماء الذين يطوفون به كل وقت.

٥ ﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴾

وأقسم الله بالسماء التي هي على الأرض سقف مرفوع.

٦ ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾

وأقسم الله بالبحر المملوء بالمياه أو المشتعل نارًا عند قيام الساعة.

٧ ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴾

إن عذاب الله لواقع بأعدائه الكفار لا محالة.

٨ ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴾

لا يستطيع أحد أن يمنع نزول هذا العذاب بالكفار.

٩ ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴾

يوم تضطرب السماء وتتحرك فيختل نظامها وتتقطع أجزاؤها.

١٠ ﴿ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴾

وتذهب الجبال هباءً في الهواء وتزول عن أماكنها.

١١ ﴿ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾

فهلاك ودمار للكفار إذا حل بهم ذاك اليوم.

١٢ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴾

هؤلاء الكفار يخوضون في الباطل ويلعبون بالحق، فحياتهم لهو وسخرية.

١٣ ﴿ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّٗا ﴾

يوم يدفع الكفار إلى النار دفعًا بغلظة مهانين أذلاء.

١٤ ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾

ويقال للكفار - تبكيتًا -: هذه نار جهنم أمام عيونكم، ذوقوا عذابها، وقد كنتم تكذبون بها في الحياة الدنيا.

١٥ ﴿ أَفَسِحۡرٞ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴾

فهل هذا العذاب سحر كما كنتم تزعمون أن القرآن في الدنيا سحر، أم أنتم لا ترون رؤية حقيقية.

١٦ ﴿ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

ذوقوا حرَّ النار - أيها الكفار - فاصبروا على حر النار وسمومها وحميمها أو لا تَصْبِروا فلن يرفع عنكم العذاب ولن تخرجوا من النار، فصبركم وعدمه سيان، وهذا عقاب ما فعلتموه في الدنيا من كفر وتكذيب، وما الله بظلام للعبيد.

١٧ ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴾

إن الأتقياء في جنات ونعيم، ومسرة وتكريم، بجوار رحمن رحيم.

١٨ ﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾

يتفكهون بما منَّ الله عليهم من سائر أنواع المسار والمحاب واللذائذ، وأنقذهم الله من عذاب النار؛ لأنهم آمنوا بالواحد القهار، واتبعوا النبي المختار.

١٩ ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

كلوا - أيها الأبرار - في الجنة طعامًا هنيئًا، واشربوا شرابًا لذيذًا؛ ثوابًا على أعمالكم الصالحة في الدنيا.

٢٠ ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾

والأبرار متكئون في الجنة على سرر متقابلة لزيادة النعيم، وزوجهم الله نساء جميلات بيضًا واسعات العيون في حور وحسن.

٢١ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾

والمؤمنون ومن اقتدى بهم ووافقهم من ذريتهم في الأعمال جمعهم الله في الجنة بذريتهم، ورفعهم معهم في درجتهم، وإن لم يصلوا إلى عمل آبائهم؛ لينعم الجميع بالاجتماع في منزل واحد، وما بخس الله أحدًا منهم من ثواب عملهم، بل وفاهم وزادهم، وكل إنسان مرهون بما عمل، لا يحاسب على جرم غيره.

٢٢ ﴿ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾

وزادهم الله على ما سبق من النعيم فواكه ولحوم طرية شهية لذيذة مما تحبه النفوس وتستلذ به.

٢٣ ﴿ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾

ومن إنعام الله لعباده في الجنة أنهم يتداولون بينهم كأس الخمر يدور عليهم في أنس وبهجة؛ ليعظم تنعمهم، وهذا الخمر لا يزيل العقل ولا يحصل به لغو في الكلام وهذر في القول، ولا معصية في شربه كخمر الدنيا.

٢٤ ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾

ويطوف على الأبرار في الجنة غلمان يقومون على خدمتهم كأنهم في البهاء والصفاء والتناسب والبياض لؤلؤ مصون في الأصداف محفوظ من الأيدي.

٢٥ ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾

واقبل الأبرار المنعمون في الجنة بعضهم على بعض يتساءلون فيما بينهم لزيادة النعيم عن سبب هذا التكريم.

٢٦ ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾

قالوا: إنا كنا من قبل هذه الحياة في حياتنا الدنيا ونحن بين أهلنا نخاف من الله ونشفق من عذابه، فنعمل بطاعته ونترك معصيته.

٢٧ ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾

فتفضل الله علينا بمنّه وكرمه فحمانا من عذاب سموم جهنم، وهو سعيرها وشدة حرِّها.

٢٨ ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾

إنا كنا في الدنيا قبل هذا اليوم ندعو الله وحده ولا نشرك به شيئًا، ونعبده مخلصين له الدين، أن ينقذنا من الجحيم ويدخلنا جنات النعيم، فاستجاب الله لنا وأعطانا ما سألنا، إن الله هو البر المتفضل على عباده بأنواع الألطاف الذي سح جوده على عباده، الرحيم بهم، الذي وفقهم لدخول جنته ونجاهم من النار.

٢٩ ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾

فذكر - أيها الرسول - قومك بالقرآن وعظهم به، فما أنت بما أنعم الله عليك به من الرسالة والحكمة والعلم النافع ورجاحة العقل بكاهن يخبر الناس بما سوف يأتي بلا علم بل بالظن، وما أنت بمجنون ذاهب العقل لا يدري ما يقول.

٣٠ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾

أم يقول الكفار إن النبي المختار شاعر ننتظر به الموت لتموت معه دعوته.

٣١ ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾

قل لهم - أيها الرسول -: انتظروا موتي وأنا أنتظر موتكم، وترقبوا وفاتي فأنا أترقب عذاب الله فيكم، وسوف تعلمون لمن العاقبة الحميدة.

﴿٣٢﴾ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾

بل إن عقول هؤلاء الكفار تأمرهم بهذا القول المتناقض، فكيف تجمع الكهانة والشعر والجنون في شخص واحد في وقت واحد، ولكنهم مسرفون في الطغيان، متجاوزون الحد في العصيان.

﴿٣٣﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾

بل يقول الكفار: إن الرسول ﷺ اختلق القرآن من عند نفسه، بل القوم مكذبون لا تصديق لديهم، ولو صدقوا بالرسالة ما قالوا هذا القول.

﴿٣٤﴾ ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾

فليأت الكفار بكلام مثل القرآن في بيانه وفصاحته إن كانوا صادقين أن الرسول ﷺ افترى القرآن.

﴿٣٥﴾ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾

هل خُلق الكفار من غير خالق وموجِد لهم، أم أنهم هم خلقوا أنفسهم؟ وهذا ليس بصحيح، فلم يخلقهم العدم، ولم يخلقوا أنفسهم، والصحيح أن الله وحده هو الذي خلقهم، فيجب أن يُعبد وحده لا شريك له.

﴿٣٦﴾ ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾

أم خلق الكفار السموات والأرض على هذا الإتقان العجيب؟ بل الكفار لا يوقنون بقدرة الله ووحدانيته فكفروا بالله.

﴿٣٧﴾ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾

أم عند الكفار خزائن الله من الأرزاق والمواهب فهم يتصرفون فيها؟ والواقع أنهم لا يملكون شيئًا أم هم أهل القوة والسلطة في العالم فلهم الغلبة والجبروت؟ وليس هذا بصحيح، بل هم عاجزون ضعفاء والله القوي الجبار.

﴿٣٨﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾

أم للكفار سلم يصعدون فيه يستمعون إلى الوحي فيجدون ما يؤيد باطلهم من الوحي؟ فليأت من يدعي ذلك من الكفار بدليل قاطع يصدق دعواه.

﴿٣٩﴾ ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾

أم لله - تعالى - البنات وأنتم لكم الأبناء كما تدعون ذلك كذبًا وزورًا.

﴿٤٠﴾ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾

أم تسأل - أيها النبي - الكفار أجرة على تبليغ دعوتك فهم في حرج ومشقة من تكاليف دفع الغرامة التي تطالبهم بها؟

﴿٤١﴾ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾

أم عند الكفار علم الغيب فهم يكتبون ذلك ويسطرونه لإعلام البشر به؟ وهذا كذب منهم فلا يعلم الغيب إلا الله.

﴿٤٢﴾ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾

بل يريد الكفار الكيد للرسول ﷺ والمكر به، فسوف يعود مكرهم وكيدهم على أنفسهم.

﴿٤٣﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

أم للكفار إله يستحق العبادة غير الله؟ تقدس الله وتعالى عن شرك الكفار، فليس له شريك في الخلق، ولا شريك في الألوهية، فهو المعبود وحده.

﴿٤٤﴾ ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾

وإذا شاهد الكفار قِطَعًا ساقطًا عليهم بالعذاب من السماء فلن يتوبوا من شركهم، وإنما يقولون: هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض وليس بعذاب.

﴿٤٥﴾ ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾

فاترك - أيها الرسول - الكفار حتى يلاقوا يوم القيامة وهو يوم هلاكهم وتعذيبهم.

﴿٤٦﴾ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

وفي يوم القيامة لا ينفع الكفار كيدهم ولا تدبيرهم، ولا يدفع عنهم عذاب الله ولا ينصرهم ناصر من دونه.

﴿٤٧﴾ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

وإن للكفار عذابًا يذوقونه في حياتهم الدنيا قبل يوم القيامة من القتل والأسر والذل والمصائب وعذاب القبر وغير ذلك، ولكن أكثر الكفار يجهلون ذلك.

﴿٤٨﴾ ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾

واصبر - أيها الرسول - لما حكم الله وأمر به من إرسالك إلى هؤلاء الكفار وما تجده من أذى وسخرية وكيد، فإنك بمرأى من الله وحفظ ورعاية وتأييد، وَسبِّحْ بحمد ربك حين تقوم إلى الصلاة وحين تقوم من النوم.

﴿٤٩﴾ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾

وسبحه أيضًا من الليل في التهجد وغيره، وعند اختفاء النجوم، وهو وقت صلاة الفجر، فإن التسبيح وعموم الذكر يعينان الإنسان على أعباء الحياة.

مكية

سورة النجم

ترتيبها ٥٣ | آياتها ٦٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾

أقسم الله بالنجم إذا سقط من مكانه، وفارق محله أو غاب بعد طلوعه.

﴿٢﴾ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾

ما انحرف الرسول ﷺ عن الهدى وحاد عن الرشاد، فهو على الحق ومع الحق، فهو على استقامة تامة، وعلى صراط مستقيم، وسداد عظيم.

﴿٣﴾ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾

وما يتكلم من عند نفسه ما يشتهي أن يقول، بل كلام وحي من الله تعالى.

﴿٤﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾

وما القرآن والسنة إلا وحي أوحاه الله إلى رسوله محمد ﷺ وليس كلام بشر.

﴿٥﴾ ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾

عَلَّمَ جبريل - عليه السلام - رسول الله ﷺ، وجبريل ملك عظيم القوة شديد البطش.

﴿٦﴾ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾

وجبريل صاحب منظر حسن وصورة بهية، وقد بدا للرسول ﷺ وظهر واستوى على صورته التي خلقه الله عليها.

٧ ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾

استوى جبريل وظهر في أفق السماء الأعلى عند طلوع الشمس.

٨ ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾

ثم اقترب جبريل من الرسول ﷺ وزاد في القرب.

٩ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾

فصار قرب جبريل من الرسول ﷺ مسافة قوسين أو أقرب من ذلك.

١٠ ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾

فأوحى الله إلى عبده ورسوله ﷺ ما أوحاه من القرآن عن طريق جبريل - عليه السلام -. وفي هذا تعظيم الوحي المنزّل.

١١ ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾

ما كذَّب قلبُ الرسول ﷺ ما رأته عيناه .

١٢ ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾

أتجادلون الرسول ﷺ وتردّون ما جاء به على ما أبصره وشاهده من آيات الله؟

١٣ ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾

ولقد شاهد الرسول ﷺ جبريل مرة ثانية على هيئته الملائكية عند سدرة المنتهى، وهي شجرة النبق في السماء السابعة.

١٤ ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾

وهي نهاية ما يصعد من الأرض إلى السماء وما ينزل من فوقها إليها.

١٥ ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾

عند سدرة المنتهى جنة المأوى التي يأوي إليها الأبرار.

١٦ ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾

إذ يعلو على السدرة من أمر الله شيء عظيم لا يصفه الواصفون، ولا يعرف عظمته إلا الله وحده.

١٧ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾

ما مال بصر الرسول ﷺ عن محل نظره، وما تجاوز المحل الذي نظر إليه، بل كان بصره نافذًا وقلبه ثابتًا.

١٨ ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

لقد شاهد ﷺ ليلة المعراج آيات كبيرة تدل على قدرة الله وعظمته مثل: الجنة والنار وغير ذلك.

١٩ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾

أخبروني - أيها الكفار - عن هذه الأصنام التي تعبدونها مثل اللات والعزى هل تنفع أم تضر؟ وهو سؤال إنكار.

٢٠ ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾

وكذلك صنم مناة الثالثة بعد اللات والعزى هل لها نفع أو ضر حتى تُعبد من دون الله؟ وهذا إنكار على من عبدها.

٢١ ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾

أتجعلون - أيها الكفار - الذكر من الأولاد لكم ومن نصيبكم وتنسبون الأنثى إلى الله بزعمكم وأنتم لا ترضونها لأنفسكم.

٢٢ ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾

هذه القسمة منكم في جعل البنين لكم والإناث لله قسمة جائرة ظالمة.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾

ما هذه الأصنام والأوثان إلا أسماء ليس لها حقيقة، فليس فيها من أوصاف الكمال والقدرة والعظمة شيء، إنما هي مجرد أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ظلمًا وزورًا بدافع الهوى وتزيين الشيطان، ما أنزل الله بها من برهان يصدق ما ذهبتم إليه من الدعوى الباطلة، وما يتبع هؤلاء الكفار إلا الظن الكاذب، وهوى النفس الأمارة بالسوء المنحرف عن الهدى، ولقد جاءكم الهدى من الله عن طريق رسوله المعصوم محمد ﷺ فاتبعوه تهتدوا.

﴿٢٤﴾ ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾

هل للإنسان ما تمنته نفسه وأملاه هواه من مثل شفاعة هذه الأصنام والأوثان وغير ذلك؟ إنما الأمر لله.

﴿٢٥﴾ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾

فأمر الدنيا والآخرة لله، وهو الذي يحكم ويفصل بما أراد؛ فيثيب المصيب ويعاقب الكافر الكاذب.

﴿٢٦﴾ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾

وكثير من ملائكة السماء مع ارتفاع مرتبتهم وعلو قدرهم لا تنفع شفاعتهم أحدًا إلا إذا أذن الله لهم في الشفاعة، ورضي عن المشفوع له.

﴿٢٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾

إن الذين لا يصدقون بيوم القيامة ولا يعملون لهذا اليوم من الكفار، هؤلاء يسمّون الملائكة تسمية الإناث؛ لاعتقادهم أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله، وهذا من جهلهم وسفههم.

﴿٢٨﴾ ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾

وليس للكفار علم ولا دليل بما ادعوه من أن الملائكة إناث، ولكنهم يتبعون الظن الكاذب الذي لا يدل على هدى، ولا يوصل إلى علم ولا يقوم مقام الحق.

﴿٢٩﴾ ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾

فاهجر من أعرض عن الهدى وهجر القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه، وليس له مراد ولا مقصد إلا الحياة الدنيا الفانية.

﴿٣٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾

وحبهم للدنيا واشتغالهم بها هو غاية مقصودهم ومنتهى مطالبهم؛ لسقوط هممهم وانحطاط نفوسهم، إن الله أعلم بمن انحرف عن الهدى، وهو أعلم بمن اهتدى ولزم طريق الاستقامة واتبع الحق.

﴿٣١﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾

ولله وحده ما في السموات والأرض؛ فهو المدبر المتصرف فيهما، وهو الذي يعاقب المسيئين على أعمالهم القبيحة، ويثيب المحسنين على إحسانهم بجنات النعيم.

﴿٣٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾

وهؤلاء المحسنون هم من يتركون كبائر الذنوب والمعاصي والفواحش إلا اللمم وهي الذنوب الصغار التي لا يصر عليها من اقترفها أو يلم بها الإنسان على سبيل الندرة، فإذا أتى العبد بالواجبات واجتنب المحرمات غفرها الله له وتجاوز عنه وسترها عليه، فإن الله كثير العفو والصفح، واسع المغفرة، وهو أعلم بطبيعة العباد حين خلق أباهم آدم من تراب، وحين كانوا أجنة في بطون الأمهات، وهذا يدل على ضعف الإنسان ومظنة صدور الذنب عنه والتقصير، فلا تزكوا - أيها الناس - أنفسكم فتثنوا عليها بالتقوى وتصفوها بالاستقامة، والله وحده هو العالم بالمتقي حقيقة المطلع على ما أسره العبد وأظهره، فالواجب ترك تزكية النفس ولزوم الانكسار والاستغفار بين يدي العزيز الجبار.

﴿٣٣﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾

أفرأيت - أيها الرسول - الذي أدبر عن الإيمان وأعرض عن طاعة الرحمن، ما أجهله وما أشد غفلته.

﴿٣٤﴾ ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾

وانظر إلى هذا المعرض كيف أعطى القليل من المال، ثم قطع عطاءه وبخل بمعروفه وأمسك عن الإحسان ما أشد شحه.

﴿٣٥﴾ ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾

هل لدى هذا البخيل المعرض المانع معرفة من علم الغيب يدل على أنه سوف ينتهي ما عنده من الخير حتى يمنع الناس إحسانه، فهو يشاهد ذلك بعينيه؟ وهذا ليس بصحيح، فهو لم يطلع على علم الغيب، وإنما منعه البخل من الإنفاق وحمله الشح على الإمساك.

﴿٣٦﴾ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾

أم لم يخبر بما جاء في التوراة التي أتى بها موسى .

﴿٣٧﴾ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾

أم لم يُخبر بما جاء في الصحف التي أتى بها إبراهيم الذي وفّى بما أمره الله به ودعا إليه وبلغه الناس.

﴿٣٨﴾ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

أنه لا تحاسب نفس بذنب سواها، ولا يحمل أحد جرم غيره، فكلٌ مسؤول عما فعل لا ما فعل الآخر.

﴿٣٩﴾ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾

وأنه لا يكتب للعبد من الثواب إلا ما فعله أو تسبب في فعله كالولد والعلم والصدقة الجارية ونحوها.

﴿٤٠﴾ ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾

وأن سعي الإنسان سوف يظهر يوم القيامة فيبدو الخير من الشر، فيثاب على الحسن ويعاقب على السيء.

﴿٤١﴾ ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾

ثم يجازي الله الإنسان على عمله الجزاء التام الكامل على كل ما عمل.

﴿٤٢﴾ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾

وإن إلى ربك - عز وجل - نهاية كل مخلوق وخاتمة كل عمل وعودة كل شيء.

﴿٤٣﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾

وأنه - سبحانه - أضحك من أراد من عباده بإسعاده، وأبكى من شاء من الناس بالأحزان والغموم، فهو خالق أسباب الانبساط والانقباض.

﴿٤٤﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾

وأن الله - سبحانه - أمات من حان موته من عباده بقبض روحه، وأحيا من أراد حياته بنفخ الروح فيه وهو في بطن أمه وإعادته بعد الموت، فله وحده الإحياء والإماتة.

﴿٤٥﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾

وأن الله خلق الزوجين من كل الأحياء الذكر والأنثى؛ ليبقى النوع وتستمر الحياة ويعمر الكون.

﴿٤٦﴾ ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾

خلق الزوجين من نطفة من مني الذكر يصب في رحم الأنثى.

٤٧ ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾

وأن على الله إعادة الخلق بعد الموت بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم وهي النشأة الأخرى.

٤٨ ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾

وأنه أغنى - سبحانه - من شاء من العباد بالأموال وملّكهم إياها وأرضاهم بها وأقناهم بما رزقهم.

٤٩ ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾

وأنه - سبحانه - رب الشعرى النجم البعيد العالي المضيء، وكان الكفار يعبدونه من دون الله.

٥٠ ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾

وأن الله دمَّر عادًا الأولى لما كذبوا فأبادهم وأفناهم.

٥١ ﴿ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾

وأهلك - سبحانه - ثمود قوم صالح وأخذهم بعذاب شديد.

٥٢ ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾

وأهلك اللــه قوم نوح من قبل هؤلاء الأقوام، فقد كانوا أشد عصيانًا وأعظم ذنوبًا وتمردًا ممن أتى بعدهم.

٥٣ ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴾

وقرى قوم لوط المنقلبة دمَّرها الله وأبادها وأهلك أهلها وقلبها عليهم.

٥٤ ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾

فأمطرها ما أمطرها من الحجارة، وألبسها ما ألبسها من العذاب.

٥٥ ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾

فبأي نعمة من نعم الله عليك - أيها الإنسان - تشك، وكل نعمة صغيرة أو كبيرة؟ فمن الله وحده؛ فله الحمد على نعمه.

٥٦ ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ ﴾

هذا الرسول محمد ﷺ نذير من عند الله برسالة مثل المرسلين قبله؛ فليس ببدع من الرسل بل سبقه كثيرون.

٥٧ ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴾

قربت الساعة ودنت القيامة وحان وقتها.

٥٨ ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾

لا يردها أحد من دون الله، ولا يعلم قيامها إلا الله، ولا يَكْشِفُ هولها عن أحد إلا الواحد الأحد.

٥٩ ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾

أفمن هذا القرآن تتعجبون - أيها الكفار - وتشكون في صحته وهو حق من عند الله؟

٦٠ ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾

وتضحكون - أيها الكفار - من القرآن استهزاءً وسخرية، ولا تبكون من وعده شوقًا، ولا من وعيده خوفًا.

٦١ ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾

وأنتم لاهون في دنياكم، معرضون عن التذكر، غافلون عن الموعظة.

٦٢ ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾

فاسجدوا لله وأخلصوا له الطاعة وانقادوا لأمره، واخضعوا لعظمته سبحانه.

مكية

سورة القمر

ترتيبها ٥٤ | آياتها ٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾

قربت القيامة ودنا وقتها وانفلق القمر فلقتين، وذلك حينما طلب الكفار من الرسول ﷺ أن يريهم علامة فدعا ربه فشق له القمر.

﴿٢﴾ ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾

وإن يشاهد الكفار علامة وبرهانًا على صدق الرسول ﷺ يعرضوا عن الإيمان والقرآن ويقولوا: هذا سحر باطل ذاهب لا يستقر سوف يضمحل ويتلاشى.

﴿٣﴾ ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾

وكذب الكفار الرسول ﷺ، واتبعوا هوى نفوسهم الأمارة بالسوء فضلوا عن الهدى، وكل أمر من صلاح أو فساد نازل بأهله يوم الحساب من ثواب وعقاب.

﴿٤﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾

ولقد أتى الكفار من أخبار من سبقهم من المكذبين وما وقع بهم من عقاب، ما فيه عظة لهم وعبرة لو انتفعوا بها.

﴿٥﴾ ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾

هذا القرآن حكمةٌ بلغت غايتها في البيان والبرهان والزجر، ولن تنفع النذُرُ قومًا أعرضوا عن العظة ولم ينتفعوا بالدليل.

﴿٦﴾ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾

فاهجر الكفار - أيها النبي - وارتقب يوم القيامة، يوم يدعو الداعي إلى موقف عصيب، وأمر مهول فظيع ومقام منكر مخيف.

﴿٧﴾ ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾

ذليلة أبصار الكفار، من الذل والصغار، يخرجون من قبورهم كأنهم الجراد المنتشر في انتشارهم وسرعتهم للحساب.

﴿٨﴾ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾

مسرعين إلى الموقف الذي دعاهم الله إليه يقول الكفار: هذا يوم عصيب عسير مخيف.

﴿٩﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾

كذبت قبل كفار مكة قومُ نوح نوحًا عبد الله ورسوله وقالوا عن نوح: إنه مجنون ذاهب العقل وزجروه وانتهروه وتوعدوه وهددوه.

﴿١٠﴾ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾

فدعا نوح ربه أني - يا رب - ضعيف أمام تهديد الكفار فانتصر لي منهم بإنزال النكال بهم على ما فعلوه.

﴿١١﴾ ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾

فأجاب الله دعاء نوح: وفتح أبواب السماء بماء غزير يتدفق في قوة وانصباب.

﴿١٢﴾ ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾

وشقق الله الأرض عيونًا تنبع بالماء، فاجتمع ماء السماء وماء الأرض على تدميرهم الذي قدره الله وكتبه عقابًا على كفرهم.

﴿١٣﴾ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾

وحمل الله نوحًا ومن معه على سفينة لها ألواح ومسامير شدت بها، فصارت قوية متماسكة.

﴿١٤﴾ ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾

تسعى السفينة بمرأى من الله وحفظه ورعايته، وأهلك الله الكفار؛ عقابًا على كفرهم وانتصارًا لنوح الذي كذبه قومه، وفيه إثبات صفة العينين لله تعالى كما يليق به سبحانه.

﴿١٥﴾ ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

ولقد أبقى الله قصة نوح وقومه علامة وبرهانًا على عظمة الله وتمام قدرته ووحدانيته، يتفكر فيها كل من جاء بعد نوح، فهل من متعظ ومعتبر ينتفع بالعظات والعبر؟

﴿١٦﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾

فكيف كان عذاب الله وإنذاره لمن حاربه وكذب أنبياءه ولم يؤمن بما أرسل به رسله؟ لقد كان عذابًا شديدًا وإنذارًا عظيمًا.

﴿١٧﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

ولقد سهَّل الله القرآن لفظًا ومعنى للحفظ والتلاوة والتدبر والفهم والعمل، فهل من متعظ بمواعظه ومعتبر بما فيه؟

﴿١٨﴾ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾

كذبت عاد رسولها هودًا فأهلكهم الله، فانظر كيف كان عذاب الله لهم على كفرهم وتكذيب رسولهم؟ لقد كان عذابًا شديدًا مؤلمًا.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾

إن الله أرسل على عاد ريحًا قوية شديدة البرودة في يوم نحس وشقاء دائم العذاب مستمر الهلاك.

﴿٢٠﴾ ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾

تقتلع الناس من أماكنهم، وترمي بهم على رؤوسهم فتفلق هاماتهم، وتدق أعناقهم، وتفصل الجماجم عن الأكتاف؛ فتدعه كالنخل المنقلع من أصله المنطرح.

﴿٢١﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾

فكيف كان عذاب الله لعاد ونذره لمن كذب رسله؟ لقد كان شديدًا مؤلمًا موجعًا .

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

ولقد سهّل الله القرآن لفظًا ومعنى للحفظ والتلاوة والتدبر والفهم والعمل، فهل من متعظ بزواجره منتفع بعبره؟

﴿٢٣﴾ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾

كذبت ثمود رسولهم صالحًا وبالآيات التي أرسل بها.

٢٤ ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴾

فقالت ثمود: كيف نتبع إنسانًا مثلنا لا ميزة له علينا وهو منَّا يساوينا، وهو واحد ونحن جماعة كثيرة؟ إنا لو اتبعناه لفي بعد عن الحق، وجنون يذهب العقول.

٢٥ ﴿ ءَأُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴾

كيف أنزل الوحي على صالح وامتاز بالنبوة علينا وهو بشر مثلنا؟ بل هو كذاب في قوله متجبر في فعله، يقول الكذب ويفعل الشر، وقد كذبوا بل هو نبي كريم وهم كذبة أشرار.

٢٦ ﴿ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴾

سوف يظهر لهم إذا حل بهم العقاب في الدنيا والآخرة من الكذاب الشرير المتجبر.

٢٧ ﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴾

إن الله مخرج الناقة التي طلبوها من الصخرة، امتحانًا لهم، فانتظر يا صالح ما سوف يقع بهم من العقاب، واصبر على إبلاغ الرسالة وعلى ما يؤذونك به.

٢٨ ﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴾

وأخبر قومك أن الماء مقسوم بينهم وبين الناقة: للناقة يوم ولهم يوم، كل يوم يحضره من له شرب الماء، ويُحْظَرُ على من ليس له شرب في ذلك اليوم فلا يحضر.

٢٩ ﴿ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾

فدعا قوم ثمود صاحبهم وحضوه على عقر الناقة، فتناول الناقة بيده، فنحرها.

٣٠ ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾

فعذبهم الله بسبب عقر الناقة.. فانظر ما أشد عذاب الله وما أقساه حين نزل بالعصاة.

٣١ ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾

إن الله أرسل على ثمود صيحة واحدة فدمرتهم وأبادتهم جميعًا؛ فكانوا بعد الهلاك كالزرع اليابس الذابل الذي جعل حاجزًا على البهائم.

٣٢ ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾

ولقد سهّل الله القرآن لفظًا ومعنى، حفظًا وتلاوةً وتدبرًا وفهمًا وعملاً، فهل من متعظ بزواجره ومنتفع بأحكامه؟

٣٣ ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴾

كذبت قوم لوط نبي الله لوطًا وقد جاءهم بآيات الله وأنذرهم بها فكفروا بتلك الآيات.

٣٤ ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴾

إن الله أرسل على قوم لوط حجارة قذفهم بها فمزقتهم، ونجى الله منها آل لوط في آخر الليل.

٣٥ ﴿ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴾

فضلاً من الله على آل لوط حينما نجاهم من العذاب، وكما أنعم الله على آل لوط ومن آمن من أهله، ينعم الله على كل من يشكره بعبادته وحده سبحانه.

٣٦ ﴿ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ﴾

ولقد خوّف لوط قومه أخْذَ الله وانتقامه، فشكّوا في ذلك واستهانوا بما قال.

٣٧ ﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾

ولقد حاولوا أن يفعلوا الفاحشة بضيوف لوط من الملائكة، فطمس الله أبصارهم مثلما أعمى بصائرهم، فذوقوا - أيها الكفار - عذاب الواحد القهار.

﴿٣٨﴾ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾

ولقد أتاهم وقت الصباح الباكر عذاب عظيم استقر فيهم ودام حتى أوصلهم إلى عذاب النار، وهو قذفهم بالحجارة واقتلاع قراهم.

﴿٣٩﴾ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾

فذوقوا - أيها الفجار - عذاب الواحد القهار؛ لأنكم قابلتم دعوة لوط بالإنكار وكذبتم بالإنذار.

﴿٤٠﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

ولقد سهل الله لفظ القرآن ومعناه للتلاوة والحفظ والفهم والعمل والتدبر لمن أراد أن يتذكر، فهل من متعظ بالقرآن؟

﴿٤١﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾

ولقد جاء فرعونَ وقومَه تخويفُ الله لهم بالعذاب على تكذيبهم على لسان موسى عليه السلام.

﴿٤٢﴾ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

لقد كذب فرعون وقومه ببراهين الله والمعجزات التي أتى بها موسى كلها فعاقبهم الله أشد العقاب، عقاب عزيز يذل من حاربه ويقهر من غالبه مقتدر على ما أراد، لا مانع لحكمه ولا راد.

﴿٤٣﴾ ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾

أكفار مكة أفضل ممن تقدم من الكفار حتى لا ينالهم عذاب الله أم أن الله أنزل براءة لهم من عذابه في الكتب السابقة فهم في أمان من أخذه عز وجل؟

﴿٤٤﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾

بل يقول الكفار: نحن أصحاب رأي وعزيمة وحزم في الأمور، وأمرنا مجتمع ومنتصرون على من حاربنا، نغلب من غالبنا.

﴿٤٥﴾ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾

سيُغلب جمع الكفار أمام جند الله من الملائكة والمؤمنين، وسوف يفرون من المعركة ويعطون ظهورهم جند الله. وقد حصل هذا في غزوة بدر.

﴿٤٦﴾ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾

يوم القيامة موعدهم الذي يحاسبون فيه على ما عملوا، ويوم القيامة أعظم عذابًا وأشد ألمًا، وأقسى عقوبة من عذاب يوم بدر.

﴿٤٧﴾ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾

إن الفجار بعيدون عن الصواب، وفي تَيْه عن الرشاد وفي عناء وشقاء وبأساء.

﴿٤٨﴾ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾

يوم يُجر الفجار في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا حرارة الجحيم وشدة العذاب الأليم.

﴿٤٩﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

إن الله خلق كل شيء وقدره بقضاء سابق وعلم وكتابة، فلا يقع في الكون شيء إلا بتقدير الله عز وجل.

﴿٥٠﴾ ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾

وما أمر الله لأمر أراده وما قضاؤه لشيء قضاه إلا أن يقول مرة واحدة "كن" فيكون بإذن الله كلمح البصر في سرعته لا يتأخر طرفة عين لتمام القدرة.

﴿٥١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

ولقد أهلك الله بالعذاب أشباه الكافرين من الأمم السابقة.. فهل من معتبر بما نزل بهم من العذاب فيؤمن ويعود إلى ربه بطاعته؟

﴿٥٢﴾ ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾

وكل شيء عمله من تقدم من الأقوام محفوظ مكتوب من حسن وقبيح في كتب سطرتها الملائكة الحفظة.

﴿٥٣﴾ ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾

وكل أمر صغير أو كبير من أفعال العباد مكتوب في صحائف الأعمال، وسوف يجزون به إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

﴿٥٤﴾ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾

إن الأتقياء في بساتين غناء، وحدائق فيحاء، وأنهار عذبة جارية تحت القصور والأشجار.

﴿٥٥﴾ ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

في مجلس حق لا لغو فيه ولا إثم، ولا صخب فيه ولا نصب، بل أمان وسلام، وسرور وإكرام، عند الله الملك العظيم، البر الرحيم، القدير على كل شيء، لا يعجزه أمر ولا يفوته مطلوب.

مدنية

سورة الرحمن

ترتيبها ٥٥ | آياتها ٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴾

الرحمن - سبحانه - الذي وسعت رحمته كل شيء، وهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

﴿٢﴾ ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾

علّم الإنسانَ القرآنَ فسهل عليه حفظُه وتلاوته وفهمه والعمل به.

﴿٣﴾ ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴾

خلق الله الإنسان بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا إذ خلق آدم من تراب.

﴿٤﴾ ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

والله علم الإنسان البيان باللسان عما يدور في الجنان، فميَّزه عن غيره.

﴿٥﴾ ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾

والله خلق الشمس والقمر يجريان بحساب دقيق وتوقيت متقن، لا يختلف ولا يضطرب.

﴿٦﴾ ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾

ونجوم السماء وشَجَرُ الأرض تعرف ربها، وتسجد له سجود طاعة وانقياد وخضوع، وهي مسخرة بإذن الله لمصالح الناس ومنافعهم.

﴿٧﴾ ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾

والله رفع السماء وأعلى سقفها فوق الأرض، وأنزل في الأرض العدل الذي أمر الناس به وفرضه على عباده في الحقوق والحدود والأشياء والعلوم وغير ذلك.

﴿٨﴾ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾

لأجل أن لا تتجاوزوا الحدود وتعتدوا على الناس وتجوروا إذا وزنتم لأحد، بل لتعدلوا.

﴿٩﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾

وأقيموا الوزن بالعدل، فخذوا الحق وأعطوه لا ضرر ولا ضرار، ولا تنقصوا الوزن إذا وزنتم لغيركم.

﴿١٠﴾ ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾

والله سوّى الأرض وبسطها ومهّدها لخلقه لتقوم الحياة على ظهرها.

﴿١١﴾ ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾

والله خلق في الأرض فاكهة لذيذة ونخلاً ذا أوعية، فيها طلعه وثمره من رطب وتمر.

﴿١٢﴾ ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾

وخلق الله الحب في قشره من زرع أخضر يحصد قوتًا لكم ولأنعامكم، وخلق كل نبت طيب الرائحة من أنواع الأزهار والورود.

﴿١٣﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعم ربكم الدينية والدنيوية والظاهرة والباطنة يا معشر الجن والإنس تكذبان؟ وما أجمل جواب الجن لما سمعوا هذه السورة من الرسول ﷺ، فكلما سمعوا هذه الآية: قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد، فعلى المسلم إذا سمع بنعم الله وتذكرها أن يحمد ربه عليها.

﴿١٤﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾

خلق الله آدم أبا الناس جميعًا من طين يابس كالفخار الذي طبخ طينه وعملت منه الآنية.

﴿١٥﴾ ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾

وخلق الله إبليس وهو من الجن من لهب النار، وهو مزيج من شعلة النار ودخانها.

﴿١٦﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعم ربكما يا معشر الإنس والجن تكذبان؟ ولا شيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿١٧﴾ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾

والله هو رب مشرقي الشمس صيفًا وشتاءً، ورب مغربيها فيهما، فالكل تحت حكمه وتصرفه جل شأنه، فهو رب الزمان والمكان.

﴿١٨﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان، وهو المنعم وحده له الحمد؟

﴿١٩﴾ ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾

مزج الله ماء البحرين العذب والمالح يلتقيان.

﴿٢٠﴾ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾

بينهما حاجز لا يغلب أحدهما على خصائص الآخر، بل كل واحد منهما محتفظ بما أودع الله فيه، فيبقى العذب عذبًا والمالح مالحًا ولو تلاقيا.

﴿٢١﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعم ربكما أيها -الثقلان- تكذبان؟ ولا شيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

٢٢ ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾

يخرج من البحرين العذب والمالح بقدرة الله اللؤلؤ والمرجان، وفيهما زينة للناس ومنافع.

٢٣ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما أيها -الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

٢٤ ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾

ولله وحده السفن الكبيرة التي تسعى على ظهر الماء بما ينفع الخلق، مرتفعة قلاعها، منصوبة أشرعتها كالجبال.

٢٥ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما أيها -الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

٢٦ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾

كل من على وجه الأرض من الأحياء ميت.

٢٧ ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾

ويبقى وجه ربك ذو العظمة والمجد والكبرياء والجبروت والجلال، فهو حي لا يموت - سبحانه -، وفي الآية إثبات صفة الوجه لله بما يليق بجلاله سبحانه.

٢٨ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما أيها -الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

٢٩ ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾

يسأل كل من في السموات والأرض من المخلوقات حاجاتهم من الله وحده؛ فهم فقراء إليه، ورزقهم على الله، فلا يستغني أحد منهم عن الله طرفة عين، كل يوم هو في شأن، يرفع ويضع، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويهدي ويضل.

٣٠ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

٣١ ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾

سيفرغ الله لحسابكم على ما فعلتموه في دنياكم أيها -الثقلان- فيثيب الطائع ويعاقب العاصي، وسوف يجد كل عامل ما عمل أمامه.

٣٢ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما أيها -الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

٣٣ ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴾

يا معشر الجن والإنسان إن قدرتم على النفاذ من أمر الله، والهروب من حكمه ففروا من أقطار السموات والأرض، ولستم بمستطيعين، فالكل في حكمه وتحت سلطانه وتصرفه، ولا تقدرون على النفاذ إلا بقوة وحجة وإذن من الله، وكيف يحصل لكم ذلك وأنتم عباد ضعفاء مقهورون.

٣٤ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما أيها -الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

٣٥ ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾

يرسل الله عليكم - أيها الجن والإنس - لهبًا من نار ونحاس مذاب يصب على رؤوسكم فلا يدفع بعضكم عن بعض العذاب؛ لتمام قوة الله وسلطانه وعجزكم وضعفكم.

﴿٣٦﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٣٧﴾ ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾

فإذا تصدعت السماء وتفتحت أبوابًا يوم القيامة فصارت حمراء كلون الورد الأحمر، كالزيت الحار المغلي والرصاص المذاب المنصهر من شدة الهول ومن عظيم الكرب وفداحة الخطب.

﴿٣٨﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٣٩﴾ ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾

ففي يوم القيامة لا تَسْأَلُ الملائكةُ الفَجَرةَ من الإنس والجن عن سيئاتهم، أو أنه موقف من مواقف الحشر لا يُسأل فيه أحد، وإنما يسأل في موقف آخر.

﴿٤٠﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٤١﴾ ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾

تعرف الملائكةُ الفجارَ بعلامات الفجور الظاهرة عليهم فتأخذهم بمقدمة رؤوسهم وبأقدامهم فترميهم في نار جهنم.

﴿٤٢﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٤٣﴾ ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾

يقال للفجرة في النار - توبيخًا لهم -: هذه هي جهنم التي كان يكذب بها الفجار في الدنيا.

﴿٤٤﴾ ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾

مرة يعذبون في الجحيم، ومرة يسقون من الحميم، وهو شراب بلغ الغاية في الغليان، يقطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء.

﴿٤٥﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٤٦﴾ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾

ولمن اتقى الله فعمل بطاعته واجتنب معصيته جنتان.

﴿٤٧﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٤٨﴾ ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾

من اتقى ربه له جنتان ذواتا أغصان لينة خضرة نضرة من الفواكه والثمار.

﴿٤٩﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

﴿٥٠﴾ ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾

في الجنتين عينان من الماء العذب الزلال الجاري تحت القصور والأشجار.

﴿٥١﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نِعَم ربكما - أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٥٢﴾ ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴾

في هاتين الجنتين من كل صنف من أصناف الفواكه نوعان.

﴿٥٣﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نِعَم ربكما - أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٥٤﴾ ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾

ولمن اتقى الله جنتان، أهلها متكئون على فرش مبطنة من غليظ الديباج، وثمر الشجر في الجنتين قريب لمن يتناوله من أهل الجنة.

﴿٥٥﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٥٦﴾ ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾

في هذه الفرش نساء قاصرات عيونهن على أزواجهن، لا يتطلعن إلى سواهم، وإنما تعلقهن بأزواجهن، لم يجامعهن إنس قبل أزواجهن ولا جان.

﴿٥٧﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نِعَم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٥٨﴾ ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾

مَثَلُ هؤلاء النساء في الحسن والجمال مَثَلُ الياقوت والمرجان، حيث جَمَعْنَ مع البهاء صَفَاء.

﴿٥٩﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٦٠﴾ ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾

هل جزاء من أحسن في عمله في دنياه إلا الإحسان له من ربه يوم يلقاه، بأن يجعل الجنة مأواه.

﴿٦١﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٦٢﴾ ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾

ومن دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان أقل منهما في الجودة والحسن، مع أن موطن سوط فيهما خير من الدنيا وما عليها.

﴿٦٣﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٦٤﴾ ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾

هاتان الجنتان شديدة النضرة والاخضرار، قد عظم هذا الاخضرار حتى شابه السواد.

﴿٦٥﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٦٦﴾ ﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾

في الجنتين عينان جاريتان فوّارتان تتدفقان بالماء العذب لا تَجِفَّان.

﴿٦٧﴾ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

فبأي نعم ربكما - أيها الثقلان - تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٦٨﴾ ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾

في الجنتين صنوف الفواكه مع النخل الباسق بطلعه النضيد والرمان اللذيذ.

﴿٦٩﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٧٠﴾ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾

في هذه الجنات نساء حسان الأخلاق جميلات الوجوه طيبات فاضلات.

﴿٧١﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٧٢﴾ ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾

نساء جميلات واسعات العيون مصونات في خيام الجنة، لا ينظرن لغير أزواجهن.

﴿٧٣﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٧٤﴾ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾

لم يطأ هؤلاء النساء الجميلات إنس قبل أزواجهن ولا جان، بل هن أبكار.

﴿٧٥﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿٧٦﴾ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾

أصحاب الجنة متكئون على وسائد ذوات أغطية خضر، وفرش وثيرة لينة جميلة.

﴿٧٧﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعم ربكما -أيها الثقلان- تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد .

﴿٧٨﴾ ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾

تكاثرت نعم الله، وكثر فضل الله، وعم خيره، ذو العظمة الباهرة والقوة الظاهرة والمجد العظيم والجلال الدائم والإكرام لأوليائه.

مكية

سورة الواقعة

آياتها ٩٦ | ترتيبها ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾

إذا حانت الساعة وقامت القيامة، وهي أكبر واقعة تقع في الكون.

﴿٢﴾ ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾

ليس لوقوع القيامة أحد يكذب بها إذا وقعت، فإنها تغشى الأبصار وتضطرب لها النفوس .

﴿٣﴾ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾

والقيامة تخفض أعداء الله في الجحيم، وترفع أولياءه في النعيم.

٤ ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾

إذا اضطربت الأرض اضطرابًا قويًا، واهتزت بمن عليها، وتحركت تحركًا شديدًا.

٥ ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾

وفتتت الجبال تفتيتًا ونسفت واندكت.

٦ ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾

فأصبحت غبارًا دقيقًا متطايرًا في السماء تحمله الريح في كل جهة.

٧ ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾

وأصبحتم - أيها الناس - يوم القيامة ثلاثة أنواع.

٨ ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾

فأصحاب اليمين أهل الرتبة الرفيعة، ما أرفع منـزلتهم وأعظم قدرهم؛ لحسن ما عملوه في الدنيا.

٩ ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾

وأصحاب الشمال أهل الرتبة السافلة، ما أقبح حالهم وأخسر صفقتهم؛ لسوء عملهم.

١٠ ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾

والسابقون إلى الصالحات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات العلا في الجنة؛ ثوابًا على أعمالهم.

١١ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾

أولئك المقربون عند الله؛ تكريمًا لهم.

١٢ ﴿ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

مأواهم جنات النعيم في ثواب عظيم بجوار رحمن رحيم.

١٣ ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

يدخل الجنة طائفة كبيرة من الأمم السابقة ومن صدر أمة محمد ﷺ من هؤلاء المقربين السابقين.

١٤ ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾

ويدخلها قليل من آخر هذه الأمة. من المقربين السابقين.

١٥ ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾

جلوسهم في الجنة على أسرة منسوجة بالذهب لينة مرتفعة جميلة.

١٦ ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴾

يتكئ أهل الجنة على هذه السرر يقابل بعضهم بعضًا بوجهه؛ للأنس والحديث وزيادة النعيم.

١٧ ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾

يطوف على أهل الجنة في الجنة غلمان يخدمونهم، باقون أبدًا، يدوم شبابهم لا يهرمون ولا يموتون.

١٨ ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾

يطوف هؤلاء الغلمان على الأبرار في الجنة بأقداح وأباريق وكأس من عين الخمر الجارية في الجنة.

١٩ ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾

وهذه الخمر لا تصيب شاربها في الجنة بصداع وألم في رأسه، ولا تذهب عقل شاربها كخمر الدنيا.

٢٠ ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾

ويطوف الغلمان على أصحاب الجنة بما يشتهون ويختارون من أنواع الفواكه اللذيذة.

٢١ ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾

وبلحم طير مشوي لذيذ مما تشتهيه نفوس أهل الجنة.

٢٢ ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾

ولأصحاب الجنة نساء جميلات واسعات العيون، شباب في بهاء، وحور في حسن.

٢٣ ﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾

كأن نساء الجنة في الصفاء والحسن لؤلؤ مصون محفوظ عن الأيدي والعيون.

٢٤ ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

أعد الله هذا النعيم لأهل الجنة ثوابًا على ما عملوه في الدنيا من عمل صالح وبر وإحسان.

٢٥ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾

لا يسمع أهل الجنة في الجنة باطلاً من القول ولا ما يلحقهم إثم بسماعه.

٢٦ ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾

لكنهم يسمعون قولاً جميلاً يبشرهم بسلامتهم من كل مخوّف وأمنهم من كل آفة وخطر، فالملائكة تسلم عليهم ويسلم بعضهم على بعض.

٢٧ ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾

وأصحاب اليمين ما أرفع منـزلتهم وما أعلى مقامهم وما أحسن ثوابهم عند ربهم.

٢٨ ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾

معهم في الجنة سدر لا شوك فيه، لين الأغصان داني الأفنان.

٢٩ ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾

ولهم موز قد صف بعضه فوق بعض، فهو منظوم كالعقد في الحسن والبهاء.

٣٠ ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾

ولهم ظل دائم لا يتغير ولا يزول ممتد يسيرون فيه تكريمًا لهم.

٣١ ﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾

وماء زلال عذب مستمر متدفق لا ينقطع .

٣٢ ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾

وفواكه متنوعة بأصناف شتى في كل وقت وآن، حاصلة لهم بيسر وهناء.

٣٣ ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾

لا مقطوعة عن أهل الجنة في زمان عن زمان، ولا يمنعهم منها مانع، بل هي عندهم متى ما اشتهوها.

٣٤ ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾

وفي الجنة فرش عالية على السرر وثيرة وفيرة.

٣٥ ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾

إن الله أنشأ النساء في الجنة للأبرار نشأة جديدة غير التي كانت في الحياة الدنيا، فالحياة هنا كاملة دائمة لا موت فيها.

﴿٣٦﴾ ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾

فجعل الله نساء الجنة أبكارًا جميعهن، صغارًا وكبارًا.

﴿٣٧﴾ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾

متحببات إلى الأزواج متساويات في الأعمار.

﴿٣٨﴾ ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾

جعل الله النساء الأبكار المتحببات زوجات لأصحاب اليمين.

﴿٣٩﴾ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

وهم جماعة كثيرة من السابقين في الأمم المتقدمة وصدر الإسلام.

﴿٤٠﴾ ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾

وجماعة كثيرة ممن جاء بعدهم داخلون في أصحاب اليمين.

﴿٤١﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾

وأصحاب الشمال ما أسوأ مصيرهم وأقبح عقابهم على أفعالهم.

﴿٤٢﴾ ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾

في ريح شديدة الحرارة تلفح وجوههم بحرها، وماء حار يغلي يشوي أجسادهم.

﴿٤٣﴾ ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾

وظل من دخان شديد السواد، كريه الرائحة، حار موجع.

﴿٤٤﴾ ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾

لا بارد على الأجسام، ولا كريم في المنظر، قد مزق الجلود بحره، وآلم العيون بقبحه.

﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾

إن هؤلاء الفجار كانوا في الدنيا متنعمين بما نهى الله عنه من الحرام والآثام، معرضين عن الإسلام.

﴿٤٦﴾ ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾

وكانوا مصرين على الكفر والذنوب، لا يتوبون إلى علام الغيوب.

﴿٤٧﴾ ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾

وكانوا يقولون - تكذيبًا بيوم القيامة -: كيف نبعث بعد الموت إذا صرنا عظامًا نخرة وتحولت أجسامنا إلى تراب؟ هذا بعيد ولن يقع.

﴿٤٨﴾ ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾

أَنُبعَثُ بعد الموت نحن وآباؤنا الذين تقدمونا إلى الموت وأصبحوا ترابًا في القبور؟!!!

﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ﴾

قل - أيها النبي -: إن الأولين من الناس والآخرين منهم من آدم إلى قيام الساعة.

﴿٥٠﴾ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾

سوف يجمعهم الله الذي خلقهم في يوم محدد مسمًّى، علم الله متى هو لا يتقدم ولا يتأخر.

﴿٥١﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾

ثم إنكم - أيها الضالون عن الصراط المستقيم، المكذبون لرسول الله الكريم ﷺ ولكتابه العظيم.

﴿٥٢﴾ ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾

لآكلون في النار من شجر الزقوم كريه الريح مر المذاق قبيح المنظر.

﴿٥٣﴾ ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾

وسوف تملؤون بطونكم من شجر الزقوم؛ كرهًا لا شهوة منكم له ولا حبًا فيه.

﴿٥٤﴾ ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾

وسوف تشربون على الزقوم ماءً حارًا بلغ النهاية في الحرارة والغليان لا يروي من الظمأ .

﴿٥٥﴾ ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾

وسوف تكثرون من شراب الحميم كشرب الإبل العطاش التي لا تروى أبدًا لمرض ألم بها.

﴿٥٦﴾ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾

هذا العقاب والنكال هو ما هيأه الله زادًا لأعدائه في النار؛ جزاءً على قبيح أعمالهم.

﴿٥٧﴾ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾

الله خلقكم - أيها العباد من العدم - فلماذا لا تصدقون بالبعث بعد الموت؛ الذي هو أسهل من النشأة الأولى؟

﴿٥٨﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾

أخبروني عن المني الذي تضعونه في أرحام نسائكم.

﴿٥٩﴾ ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾

هل أنتم الذين تخلقون هذا المني وتصورونه وتنفخون فيه الروح أم الله - تعالى - وحده الذي يفعل ذلك.

﴿٦٠﴾ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾

الله قضى عليكم الموت وقدره بينكم، وليس بعاجز - سبحانه - أن يبدل خلقكم إلى خلق آخر في أيِّ صورة شاء سبحانه.

﴿٦١﴾ ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

وقادر - سبحانه - على تغيير خلقكم يوم القيامة وإنشائكم فيما لا تعلمونه من الصور والصفات والأحوال.

﴿٦٢﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾

ولقد علمتم أن الله هو الذي خلقكم أول مرة فلماذا لا تستدلون بهذا على قدرته على إحيائكم مرة ثانية، هو البعث بعد الموت.

﴿٦٣﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾

أفرأيتم - أيها الناس - بذر الحب الذي تضعونه في الأرض اليابسة وهو حب يابس.؟

﴿٦٤﴾ ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾

هل أنتم الذين تنبتونه وتخرجونه زرعًا، بل الله وحده الذي يخرجه بقدرته زرعًا .

﴿٦٥﴾ ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾

لو أراد الله لصيّر الزرع هشيمًا محطمًا لا نفع فيه ولا فائدة، فأصبحتم تعجبون مما حل بهذا الزرع.

﴿٦٦﴾ ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾

وتقولون: إننا خسرناه وذهب منا، وهذا عذاب حل بنا .

﴿٦٧﴾ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾

بل الله حرمنا الرزق بإهلاك هذا الزرع.

﴿٦٨﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾

أفرأيتم الماء العذب الزلال الذي تشربونه ليذهب ظمؤكم .

﴿٦٩﴾ ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾

هل أنتم - أيها الناس - أنزلتم الماء من الغمام إلى العيون والآبار والأنهار أم الله الواحد القهار أنزله بحكمة واقتدار؟ بل الله عز وجل؛ رحمة بالعباد.

﴿٧٠﴾ ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾

لو أراد الله لصير هذا الماء العذب مالحًا لا يستساغ ولا يُطاق شرابه، لا نفع فيه لإنسان ولا حيوان ولا نبات، فلماذا لا تشكرون الله - أيها الناس - على أن جعل الماء عذبًا زلالاً؟!

﴿٧١﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾

أفرأيتم النار التي توقدونها لدفئكم، ولإنضاج طعامكم.

﴿٧٢﴾ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾

هل أنتم خلقتم الشجر الذي توقد منه النار أم الله الذي خلقه؟ بل الله جل في علاه.

﴿٧٣﴾ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾

الله الذي جعل هذه النار تذكرة بنار جهنم ومنفعة للمسافرين والجائعين، فهلا شكرتم الله على هذه النعم.

﴿٧٤﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾

فنزه ربك عن صفات النقص، وأثبتْ له صفات الكمال التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، فالله عظيم في ذاته وأسمائه وصفاته، له الملك والجبروت.

﴿٧٥﴾ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾

يقسم - سبحانه - بمساقط النجوم ومهاويها إذا سقطت أو غربت، وفيها دلالة على عظيم القدرة وبديع الخلق.

﴿٧٦﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

وإن في قسم الله بمواقع النجوم قسم عظيم القدر كبير المنزلة.

﴿٧٧﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾

إن هذا القرآن الذي أوحاه الله إلى رسوله ﷺ عالي المنزلة كثير النفع جليل القدر مبارك.

﴿٧٨﴾ ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾

في كتاب مستور عن العيون، مصون عن الظنون، محفوظ في اللوح محترم مكنون.

﴿٧٩﴾ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾

لا يمس القرآن الذي في اللوح المحفوظ إلا ملائكة كرام مطهرون من الآفات والخطايا، منزهون عن الآثام.

﴿٨٠﴾ ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

والقرآن وحي من الله خالق الكون وما فيه، نزله على رسوله ﷺ.

﴿٨١﴾ ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾

أفبهذا القرآن الكريم أنتم - أيها الكفار - مكذبون وهو حق من الله تعالى؟

﴿٨٢﴾ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾

وتجعلون شكركم على النِّعَم أنكم تكفرون وتصرفون الشكر لغير مهديها وتكذبون بها؟

﴿٨٣﴾ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾

فهل قَدرْتم إذا بلغت روح الواحد منكم حلقومه من حنجرته عند سكرات الموت أن تردوها في جسمه؟

﴿٨٤﴾ ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾

وأنتم شهود تنظرون إلى المحتضر عند الموت ولا تدفعون عنه المنية.

﴿٨٥﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾

والله أقرب إليه بملائكته وعلمه واطلاعه ممن عنده من البشر، ولكن لا تشاهدون الملائكة.

﴿٨٦﴾ ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾

وهل تَقْدرُون إن كنتم غير محاسبين على أعمالكم ولا مجزيين بأفعالكم.

﴿٨٧﴾ ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

رُدُّوا الروح في الجسم إن كنتم صادقين على إعادتها؟ ولن تستطيعوا.

﴿٨٨﴾ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾

فأما إن كان المحتضر من السابقين في الخيرات أهل المراتب العالية في الولاية والتقوى.

﴿٨٩﴾ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾

فللعبد الصالح من المقربين السابقين عند موته رحمة واسعة وفرح وبشرى وسكينة وطمأنينة، وله سكنى جنات النعيم خالدًا فيها أبدًا.

﴿٩٠﴾ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾

وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين وهو دون السابقين لكنهم من المفلحين.

﴿٩١﴾ ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾

فيقال له عند السكرات: سلام لك من الآفات، وأمن لك من الأخطار لحسن عملك.

﴿٩٢﴾ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾

وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحساب الضالين عن الصواب الكافرين بالكتاب.

﴿٩٣﴾ ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾

فله ضيافة في جهنم، حيث يُسقى من شراب حار مغلي، بلغ الغاية في الحرارة.

﴿٩٤﴾ ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾

والله يصليه نار جهنم ويحرقه بها ويذوق عذابها.

﴿٩٥﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾

إن هذا الذي ذكره - سبحانه - في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ لهو حق اليقين الذي لا شك فيه ولا ريب.

﴿٩٦﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾

فنزه الله عما لا يليق به، وعما وصفه به أعداؤه، وعما يقول الظالمون والجاحدون، فإنه العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته.

مدنية

سورة الحديد

ترتيبها ٥٧ | آياتها ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

نزّه الله ومجّده وقدّسه عما لا يليق به كلُّ ما في السموات والأرض من خلقه على اختلاف أنواعهم وهو العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه وشرعه.

﴿٢﴾ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

لله وحده ملك السموات والأرض وما فيهما، فله التدبير والتصريف، يحيي من العدم، ويعيد الخلق بعد الموت، ويميت الأحياء، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ما أراد كان وما لم يرده لم يكن، ولا يكون إلا ما أراد.

﴿٣﴾ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ولا تغيب عن علمه غائبة وسع علمه كل شيء؛ فعلم السر وأخفى وما ظهر وخفي.

﴿٤﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

الله وحده الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في مدة ستة أيام، ثم علا وارتفع على عرشه فوق سمواته استواء يليق بجلاله، يعلم ما يدخل في الأرض من حيوان ونبت وماء وكنز وغير ذلك، وما يخرج منها من نبات وزرع وثمر ونحوها، وما ينزل من السماء من ماء وغيره، وما يصعد في السماء من ملائكة وأقوال وأعمال، والله - عز وجل - مع خلقه بعلمه أينما كانوا، وهو بصير بأقوال الخلق وأعمالهم وأحوالهم، لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عنه غائبة، وسوف يحاسب الجميع على ما عملوا.

﴿٥﴾ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

لله وحده ملك السموات والأرض خلقًا وتدبيرًا، وإليه مصير الخلائق يوم القيامة؛ ليحاسبهم على أعمالهم، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

﴿٦﴾ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

يدخل الله في ساعات الليل ما نقص من ساعات النهار، ويدخل في النهار ما نقص من ساعات الليل، فيزيد في هذا ما نقص من هذا، وهو - تعالى - يعلم بما تخفيه صدور العباد من الأسرار والنيات.

﴿٧﴾ ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

آمنوا - أيها الناس - بالله، واتبعوا رسوله ﷺ، وتصدقوا مما رزقكم الله وجعلكم مستخلفين فيه، فإن المتفضل والمنعم حقيقة هو الله وحده، فالذين آمنوا منكم - أيها العباد - وصدقوا في إيمانهم وتصدقوا من أموالهم فلهم الجزاء الموفور من الأجر العظيم والنعيم المقيم.

٨ ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

وما عُذْركم إن لم تؤمنوا بالله فتوحدوه، وإن لم تؤمنوا بالرسول فتتبعوه، والرسول يدعوكم إلى الإيمان بالله وبالرسول، والله قد أخذ عليكم الميثاق السابق بذلك إن كنتم صادقين في إيمانكم بربكم؟!

٩ ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

الله الذي ينزل على عبده ورسوله محمد ﷺ آيات مفصلات تبين الحق من الباطل، والحلال من الحرام؛ ليخرجكم بها من ظلمة الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وإن الله بإخراجكم من الظلمات إلى النور رؤوف يريد بكم الخير واليسر، رحيم يتغمدكم برحمته، فيقبل التائب ويمهل العاصي.

١٠ ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

وما عذركم في الإنفاق في سبيل ربكم، وهو الذي أنعم عليكم بما أعطاكم، وله ميراث السموات والأرض يرث كل ما فيها ولا يستطيع أحد أن يبقى وارثًا لما عنده، بل سوف يتركه ويرحل عنه، لا يستوي في الثواب والجزاء منكم من تصدق قبل فتح مكة وقاتل الكفار، أولئك أرفع رتبة عند الله وأعلى منزلة من الذين تصدقوا في سبيل الله من بعد فتح مكة وقاتلوا الكفار، وكلتا الطائفتين وَعَد الله الجنة، والله عالم بما تعملونه من أعمال، لا تغيب عنه غائبة، وسوف يثيب المحسن ويعاقب المسيء.

١١ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

من الذي يتصدق لوجه الله وفي سبيله مخلصًا في إنفاقه، لا يُتْبِع ما أنفق منًّا ولا أذى، فالله يضاعف له المثوبة ويعظم له الأجر، ويجعل الجنة مأواه.

١٢ ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

يوم القيامة تشاهد أهل الإيمان من الرجال والنساء يسعى نورهم أمامهم وعن أيمانهم على الصراط على حسب أعمالهم، ويقال لهم: بشراكم هذا اليوم دخول جنات النعيم التي تجري من تحت أشجارها الأنهار، باقون فيها أبدًا؛ ذلك الجزاء هو الظفر الأعظم والفوز الأكبر.

١٣ ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾

في يوم القيامة يقول المنافقون والمنافقات للمؤمنين وهم على الصراط: أمهلونا حتى نستضيء بنوركم، فترد عليهم الملائكة: عودوا وراءكم فابحثوا عن النور، توبيخًا لهم واستهزاءً بهم، ففرّق بين المؤمنين والمنافقين بسور كالحائط العظيم، له باب باطنه من جهة أهل الإيمان رحمة، وظاهره من جهة أهل النفاق عذاب.

١٤ ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾

ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: أما كنا معكم في الدنيا نؤدي العبادة من صلاة وصيام وحج ونحوها مثلما تؤدونها؟ قال المؤمنون لهم: بلى كنتم تؤدونها معنا في ظاهر الأمر ولكنكم أبطنتم الكفر والنفاق، فأهلكتم أنفسكم، وتربصتم بالرسول ﷺ الموت والمحن، وبالمؤمنين المصائب، وشككتم في القيامة والحساب، وخدعتكم أمانيكم الباطلة وأهواؤكم المضلة، وما زلتم في الغواية حتى فاجأكم الموت، وخدعكم عن عبادة الله عدو الله إبليس.

١٥ ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

فاليوم لا يقبل الله من المنافقين عوضًا يفتدون به من عذاب الله، ولا يقبل الله من الكفار شيئًا، ومرجع المنافقين والكفار إلى نار جهنم، هي أولى بهم من كل محل سواها، وبئس المرجع والمآب، فهي دار الهوان والنكال والعقاب.

١٦ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾

أما حان الزمان لأهل الإيمان أن تلين قلوبهم لذكر الرحمن، وتخشع عند سماع القرآن، ولا يشابهوا في قسوة قلوبهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين لما طال عليهم الزمان بدلوا وغيروا وانحرفوا عن دين الله فقست قلوبهم، وأكثرهم خارج عن طاعة الله، متجاوز حدوده. وفي الآية دعوة لخشية الله والخشوع عند سماع كتابه والرقة عند ذكره - سبحانه -، والتنفير من مشابهة أهل الكتاب في القسوة والغفلة والعصيان.

١٧ ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

تيقنوا - أيها العباد - أن الله يحيي الأرض الميتة بالغيث فتخضرُّ بإذن الله، فالله قادر على بعث الناس بعد موتهم وجمعهم ليوم الحساب، وهو قادر على أن يلين القلوب القاسية، قد بيّن الله براهين القدرة بضرب الأمثال للناس كي يتدبروا أو يعقلوا عن الله ما أنزله على رسوله ﷺ.

١٨ ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

إن المتصدقين مما آتاهم الله والمتصدقات، وأنفقوا في سبيل الله من طيبات ما عندهم من رزق؛ طلبًا للأجر من الله، بلا منّ ولا أذى، يُضاعف الله لهم ثواب الأعمال، ويزيدهم التفضل عليهم بدخول جنات النعيم بجوار رب كريم.

١٩ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾

والمؤمنون بالله والمصدقون لرسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم أولئك هم الصديقون أهل درجة الإحسان والشهداء في سبيل الله، وكذلك الشهداء على عباده بإبلاغهم العلم النافع، لهم الأجر الجزيل والثواب العظيم عند الله، مع النور التام يوم الحساب، والذين كفروا بالله وكذبوا ببراهينه وأدلته المنزلة على رسله أولئك خالدون في النار في الذل والصغار وسخط الجبار، فلا أجور ولا نور ولا أمن ولا سرور.

٢٠ ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾

تيقنوا - أيها الناس - أنما هذه الحياة الدنيا لعب تشغل الأبدان، ولهو تذهل القلوب، وزينة تخدع العيون، وتفاخر بين الناس يتطاول بعضهم على بعض بها مدحًا وفخرًا، وتكاثرٌ بأعداد الأولاد وحساب الأموال، وصفتها صفة المطر الذي يعجب الزراع نباته الأخضر، ثم يذبل ويذوي ويجف، فتراه بعد الخضرة والنضرة مصفرًا، ثم يصبح فتاتًا يابسًا متحطمًا، فهذا مَثَلُ الدنيا تخدع ببريقها وزينتها واجتماع شمل أهلها وكثرة أموالها ورغد عيشها، ثم يقع الفراق والرحيل وانقلاب الحال وتغير الزمان، وفي يوم القيامة عذاب شديد للكفار؛ زيادة على ذهاب دنياهم، ومغفرة من الله لذنوب أوليائه ورضوان منه لأهل طاعته، وما هذه الحياة الدنيا لمن آثرها وعمل لها ونسي العمل للآخرة إلا متاع الغرور، وهو تمتع المخدوع بها المغتر بزخرفها.

٢١ ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾

سابقوا - أيها الناس - بالعمل الصالح والاجتهاد في الخير والتشمير في الطاعة وطلب أسباب المغفرة من التوبة وهجر الذنوب؛ ليجعل الله مصيركم جنة عرضها كعرض السماء والأرض، هيأها الله لمن آمن به واتبع رسوله وعمل بطاعته واجتنب معاصيه، ذلك الفضل من الله يمنحه من أراد من العباد بتوفيقه للسداد والرشاد، فالجنة لا تُدخل إلا برحمة أرحم الراحمين لا بمجرد عمل العاملين، والله ذو الفضل الواسع العظيم على عباده الصالحين، حيث خلقهم ورزقهم ووفقهم ثم أثابهم.

٢٢ ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

ما أصابكم - أيها العباد - من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم من المرض والفقر والسقم وتلف الأموال وسائر النكبات إلا وقد كتبها الله قبل أن تقع، إن كتابته وتقديره سهل على الله؛ لأنه لا يعجزه شيء.

٢٣ ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

كتب الله المقادير حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا؛ لأن من آمن بالقدر سلم الأمر لله ورضي بحكمه، وكيلا تفرحوا بما تفضل الله عليكم فرح كبر وبطر وأشر، والله لا يحب كل معجب بنفسه متكبر على غيره، يختال بقلبه ويفخر بلسانه، بل يحب الله المتواضع المخبت المتذلل له سبحانه.

٢٤ ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾

وهؤلاء أهل الخيلاء والفخر الذين يبخلون بما آتاهم الله ولا يصرفونه في حقوقه الواجبة والمستحبة، ويدعون غيرهم إلى البخل ويزينون الإمساك والشح للناس، ومن يعرض عن عبادة الله ويهجر طاعته فالله غني عنه ولن يضر إلا نفسه؛ فالله غني عن العباد لا تنفعه طاعة الطائع ولا تضره معصية العاصي، وهو - سبحانه - الحميد الذي له كل صفات الحمد والمدح، وله كل فعل جميل يحمد عليه، فهو غني عمن تولى، يحمد ويشكر من أطاعه وشكره.

٢٥ ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

ولقد أرسل الله رسله بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة، وأنزل معهم الكتاب بالعقائد والأحكام والأخلاق والآداب، وأنزل الميزان ليحكم الناس به ويعدلوا في أخذ الحقوق وإعطائها، وأنزل الله الحديد فيه قوة وبأس شديد في الحروب وفوائد كثيرة في الصناعة والزراعة، وليعلم الله من الذي ينصر دينه وينصر رسله بالغيب، وذلك بحمل السلاح في سبيل الله لحماية دينه والدفاع عن عباده، إن الله قوي لا يحارب ولا يغالب، عزيز يقهر من عاداه ويعز من والاه.

٢٦ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾

ولقد أرسل الله نوحًا وإبراهيم برسالة التوحيد إلى أقوامهما، وجعل الله في ذرية نوح وإبراهيم النبوة وعلم الكتب المنزلة، فمن ذريتهما من اهتدى إلى الحق وأطاع الله، وكثير من ذريتهما متجاوزون لحدود الله خارجون عن طاعته.

٢٧ ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾

ثم أتبع الله بعد نوح وإبراهيم برسله الكرام، وأنزل معهم الأدلة والبراهين الواضحة، وأتبع بعيسى بن مريم وأنزل عليه الإنجيل، وجعل الله في قلوب النصارى أتباع عيسى لينًا وشفقة، فغلوا في دينهم وابتدعوا رهبانية ما كتبها الله عليهم، بل فعلوها بلا دليل شرعي وقصدوا بها الناس ولم يخلصوا لله ولم يؤدوها على وجهها ولا قاموا بها حق القيام لكنهم غيروا المشروع بالبدعة، فآتى الله المؤمنين منهم ثوابهم على حسب أعمالهم، وأكثرهم تجاوزوا الحد وخرجوا عن طاعة الله، وكذبوا رسوله محمدًا ﷺ، وهذه ثمرة البدعة المرة، وعاقبة من ترك الشريعة.

٢٨ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يا أيها المؤمنون: راقبوا الله واخشوه بعمل طاعته واجتناب معصيته، يكتب لكم ضعفين من رحمته، وهذا يشمل من آمن بعيسى من أتباعه وآمن بمحمد ﷺ فله أجران عند الله، ويجعل الله للمؤمنين نورًا يهتدون به فيبصرون الحق، ويغفر لهم ذنوبهم، والله غفور لمن أساء من العباد، رحيم بمن تاب إليه وعاد.

٢٩ ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

تفضل الله عليكم بهذا الأجر المضاعف والثواب العظيم؛ ليعلم أهل الكتاب الذين كفروا بمحمد ﷺ أنهم لا يستطيعون أن ينالوا شيئًا من فضل الله ورحمته لأنفسهم، ولا يعطونه غيرهم، وأن الفضل كله بيد الله وتحت تصرفه، يعطي من أراد من العباد، ويمنع من أراد منهم، والله - عز وجل - ذو الفضل الواسع، والنعم الكثيرة على عباده.

مدنية

سورة المجادلة

ترتيبها ٥٨

آياتها ٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾

قد سمع الله قول (خولة بنت ثعلبة) التي تراجعك في شأن زوجها (أوس بن الصامت) لما ظاهر منها بقوله: أنت عليَّ كظهر أمي، في حرمة النكاح، وهي تسأل ربها أن يفرِّج كربها، والله يسمع تحاوركما - أيها النبي - وهو السميع البصير سمع تحاورهما من فوق سبع سموات ورآهما.

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾

الذين يظاهرون من المسلمين من نسائهم فيقول الرجل لزوجته: «أنت عليّ كظهر أمي» في الحرمة، والصحيح أنهنَّ لسن أمهاتهم، وإنما هن زوجاتهم، وأما الأمهات فهن اللواتي ولدنهم، فالمظاهرون يقولون كذبًا عظيمًا، وبهتانًا شنيعًا، والله يعفو عمن زل، ثم يعود ويغفر لمن ارتكب محرمًا ثم تاب، فهو واسع المغفرة سبحانه.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

والذين يحرمون زوجاتهم بالمظاهرة، ثم يعودون عن قولهم وينوون جماع نسائهم، فعلى المُظاهر كفارة وهي: أن يعتق رقبةً مؤمنة عبدًا أو أمة قبل الجماع، وهذا الحكم من الله الحكيم الخبير لمن ظاهر من زوجته، وهذا مما يعظكم الله به ويرشدكم إليه، وهذه الكفارة لمن صدر عنه الظهار، والله لا يخفى عليه شيء، ولا تغيب عنه غائبة، وسيجزي كلاً بما فعل.

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

فإذا لم يجد ثمن رقبة يعتقها فعليه صيام شهرين متتالين قبل أن يجامع زوجته، فإذا عجز عن الصيام بعذر شرعي أطعم ستين مسكينًا ما يشبعهم، وهذه الأحكام المبينة لأجل أن تؤمنوا بالله بعمل ما أمر واجتناب ما نهى، وتؤمنوا برسوله ﷺ بالمتابعة له، وهذه حدود حدها الله لا يجوز تجاوزها، فمن تعداها باء بإثم عظيم، ولمن جحد بها عذاب أليم مقيم في الجحيم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

إن المحاربين لله ورسوله ﷺ، والمخالفين لشرع الله، والصادين عن منهج الله، خُذلوا وأُهينوا كما أُهين مَنْ قبلهم ممن حارب الله ورسوله، وقد أنزل الله آيات محكمات وحججًا واضحات، ودلالات بيِّنات فيها صلاح العباد والبلاد، ولمن جحد بها وردها عذاب مذل يُهان به في نار جهنم.

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

واذكروا يوم يجمع الله الأولين والآخرين ليوم الفصل، فيطلعهم على كل ما عملوه من خير وشر، حفظه الله مكتوبًا في صحائف الأعمال، ونسوا ما عملوا لما رأوا من أهوال عظام، والله مطلع على كل شيء، لا تخفى عليه خافية، علم السرائر، وأحاط بما في الضمائر.

٧ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

ألم تعلم أن الله يعلم كل شيء في السموات والأرض، لا يتناجى ثلاثة من الناس بسر إلا علمه، فكان رابعهم، لا يخفى عليه مما قالوا شيء، ولا خمسة إلا هو سادسهم بعلمه، لا تغيب عنه غائبة مما أسروا وأعلنوا، ولا أقل من هذا العدد ولا أكثر منه إلا وهو معهم بعلمه مع أنه مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه - جل في علاه -، ويوم القيامة يخبر الله الجميع بما عملوا من خير وشر، وهو مطلع على كل شيء، عليم بكل سر.

٨ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

ألم تر - أيها النبي - إلى اليهود الذين نهاهم الله عن الكلام سرًا بما يثير الشك عن المسلمين، ويورث الريبة منهم، ثم يرجعون إلى ما نهاهم الله عنه، ويتكلمون سرًا بالسوء، متجاوزين الحد في الظلم والاعتداء، وإذا أتاك اليهود - أيها النبي - حيَّوك بتحية أخرى غير ما سنه الله لك من تحية، وهو قولهم: «السَّام عليك» أي: الموت عليك، ثم يقولون: لماذا لا يعاقبنا الله بهذا الكلام إنْ كان محمد رسولاً من عند الله؟ فأخبر الله أنه أجَّلَ عذابهم لنار جهنم شديدة الحر، فهي بئس الدار، وأقبح بها من قرار للكفار.

٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

أيها المؤمنون: إذا تكلمتم سرًا فإياكم وما حرم الله من القول، سواء بما هو فاحش في نفسه، أو ما فيه ظلم للناس، أو مخالفة للرسول ﷺ، وتكلموا بما فيه صلاح وخير ونفع، والبر: ما فيه طاعة، والتقوى: ترك المعصية، وخافوا الله باتباع رسوله ﷺ وفعل أوامره واجتناب نواهيه، فالله وحده - سبحانه - مرجعكم تعودون إليه؛ ليجازيكم على أعمالكم.

١٠ ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

إن التكلم سرًا بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان ومعصية للرحمن؛ ليُدْخِلَ الحزن على أهل الإيمان، ولن يؤذي المؤمنين ذلك إلا بإرادة الله وحده، وعليه دون سواه، فليعتمد من آمن به، وعليه فليفوض أمره كل مسلم، وكفى به وكيلا.

١١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

أيها المؤمنون: إذا أُمرتم بالتوسعة لبعضكم في المجالس فليوسع المسلم لأخيه في المجلس، يوسع الله عليكم في الرزق والثواب، وإذا طُلب منكم القيام من المجلس لسبب من الأسباب فقوموا، فالله يرفع محل المؤمنين منكم على حسب إيمانهم، ويرفع أهل العلم درجات كثيرة في الفضل والثواب لفضل العلم، وجاء ذلك العلم بعد آداب المجلس؛ لأن أهل العلم أفقه من غيرهم في الآداب والأخلاق، والله عليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه أمر، وسوف يحاسب كلاً بما عمل.

١٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

أيها المؤمنون بالله ورسوله: إذا أردتم الحديث مع رسول الله سرًا فتصدقوا قبل ذلك بصدقة، فهو خير لكم بزيادة الحسنات، وأطهر لكم بتكفير السيئات، فإذا لم تستطيعوا التصدق فلا إثم عليكم، فقد تجاوز الله عنكم؛ لأنه واسع المغفرة، كثير الرحمة، فمن غفرانه لا يثرِّب، ومن رحمته لا يعاقب.

﴿١٣﴾ ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

أَخِفْتُم من الفقر إذا تصدقتم قبل مناجاة الرسول ﷺ، فإذا لم تتصدقوا - وقد سامحكم الله في ذلك - فداوموا على الصلاة المفروضة، وأدوا الزكاة المكتوبة، واجتهدوا في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والله مطلع على كل أعمالكم، وسوف يحاسبكم عليها فراقبوه.

﴿١٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

ألا تتعجب من المنافقين حينما اتخذوا اليهود أولياء من دون الله ورسوله؟! والمنافقون ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، ويقسمون إنهم منكم، وهم كاذبون ويعلمون أنهم يكذبون فيما يقولون وعليه يقسمون.

﴿١٥﴾ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

هيأ الله لهؤلاء المنافقين عذابًا مؤلمًا وموجعًا في نار جهنم؛ لأن عملهم قبيح وفعلهم شنيع، فهم في الدرك الأسفل من النار .

﴿١٦﴾ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

جعل المنافقون أيمانهم وقاية لهم من القتل بحلفهم أنهم مؤمنون في الظاهر، ولكنهم كفار في أنفسهم وقد صدوا غيرهم عن الإسلام، فلهم عذابُ الخزي في نار جهنم؛ فهم خابوا وخسروا في الدنيا والآخرة.

﴿١٧﴾ ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

لن يُدافع عن المنافقين يوم القيامة مال ولا ولد، ولن يمنعهم من العذاب ذلك، وهم خالدون في النار في سوء القرار، ملازمون للنكال والمهانة والصغار.

﴿١٨﴾ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾

يوم القيامة يحيي الله المنافقين من القبور، فيقسمون لله أنهم مؤمنون مثلما أقسموا لكم في الدنيا، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم، ولكنهم واهمون في ذلك، مفترون على الله، كذبوا في الأيمان عند الرحمن.

﴿١٩﴾ ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

استولى عليهم الشيطان حتى تركوا طاعة الرحمن، وأعرضوا عن الإيمان والقرآن، فهم أتباع إبليس، ومن تبعه خسر وخاب، وباء باللعنة والعذاب، والمقت والعقاب.

﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾

إن الذين يعصون الله ورسوله ويحاربون دينه هم مع أهل الذل والصغار، ومع الأشقياء والأشرار في هذه الدار، ويوم القيامة في النار.

﴿٢١﴾ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾

كتب الله وقدّر وقضى أن النصر له ولرسله؛ لأنه قوي لا يعجزه شيء، فلا يحارب ولا يغالب، عزيز قهر ما سواه وأذل من حاربه.

﴿٢٢﴾ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

لا تجد قومًا يؤمنون بالله ويعبدونه حق عبادته، ويؤمنون بلقاء الله يوم القيامة يخلصون محبتهم، ويمنحون مودتهم لمن حارب الله وحارب رسوله، ولو كان هؤلاء المحاربون آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم؛ لأن صلة الدين أعظم من صلة القربى، والولاء لله ولرسوله وليس للنسب، وهؤلاء الذين يوالون في الله ويعادون فيه كتب الله في قلوبهم الإيمان وجعله مكينًا راسخًا في نفوسهم، وَقوَّاهم بنصرهم، وحماهم برعايتهم، وخصّهم بولايته، ويدخلهم جنات النعيم في أحسن دار وأجمل قرار في جنة كثيرة الأنهار، مصطفة الأشجار، طيبة الثمار، خالدين فيها، وأحل عليهم الرضوان، فلا يسخط عليهم الرحمن طيلة الأزمان، ورضوا عن ربهم؛ لحسن الثواب، وكريم المآب، في أجزل عطاء، وأجل نعماء، هؤلاء الفائزون هم عباد الله المخلصون، وحزبه الفائزون، وهم الذين أدركوا أعظم الظفر في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

مدنية

ترتيبها ٥٩

سورة الحشر

آياتها ٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

قدَّس اللهَ بأوصاف الكمال، ومجَّدهُ بكل المحامد، ونزَّههُ عما لا يليق به، كلُّ ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات، وهو العزيز في ملكه وحكمه الذي لا يغالب، يقهر غيره ولا يساميه أحدٌ، وهو حكيم في صنعه وتصويره وملكه وتدبيره، حكيم في شرعه يضع كل شيء مواضعه بإتقان وإحسان.

﴿٢﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾

وهو - سبحانه - وحده الذي أخرج الكافرين المكذبين برسوله ﷺ من يهود بني النضير، وكانوا حول المدينة من جزيرة العرب إلى الشام، ما كان يظن المسلمون أنهم سوف يخرجون بهذا الخزي والهزيمة والذل والهوان؛ لقوة بأسهم، وشدة منعتهم، وظنوا أن الحصون سوف تحجبهم من بأس الله على يد جند الله، فسلَّط الله عليهم أولياءه من حيث لم يخطر لهم على بال، ولا يدور في خيال، وألقى في قلوبهم الجبن والخور، وبدؤوا عند خروجهم يهدمون منازلهم ويهدمها معهم المؤمنون، فاستفيدوا من هذه العظة والحادثة يا أصحاب الفطر السوية، والبصائر الحية، والعقول الراجحة، فمصائب قومٍ عند قوم فوائد، والأخبار للأبرار اعتبار؛ لأنها إنذار وإعذار.

﴿٣﴾ ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾

ولولا أن الله قدّر عليهم الخروج من ديارهم حول المدينة إلى الشام لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي بأيدي المؤمنين، ولهم في الآخرة عذاب النار وغضب الجبار؛ لأنهم لما حاربوا الله سلبهم الأمان، وأخرجهم من الأوطان مع غضب الرحمن.

﴿٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

ذلك الذل والخزي الذي أصاب اليهود في الدنيا وما أعدَّ الله لهم في الآخرة بسبب أنهم عصوا الله، وخالفوا أمره وأمر رسوله ﷺ، ومن يخالف الله ويعصِ أمره ويحاربه فإن الله أعدَّ له أشد العقاب، وأبلغ العذاب.

٥ ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

ما قطعتم - أيها المسلمون - من نخلة أو تركتموها على ساقها، فالله أذن لكم بذلك وأمركم به، وأنتم طائعون لله غير مسرفين في القطع، وليذل بهذا اليهود؛ لأنه سلطكم على قطع نخيلهم وتحريقها ولم يستطيعوا الدفاع عنها.

٦ ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

ما وهب الله وأعطى رسوله من أموال بني النضير، فما أسرعتم إليه وأنتم على خيل ولا إبل، ولكن الله يسلّط رسله على من يشاء من أعدائه فينهزمون ويسلمون ما بأيديهم بلا قتال، والله على كل شيء قدير، ومن ذلك خذلان الكفار في محاربتهم لأولياء الرحمن.

٧ ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

ما وهب الله رسوله من أموال أهل القرى من غير قتال على خيل وجمال، فهو لله ولرسوله، ينفق في وجوه الخير العامة التي تنفع المسلمين، ولقرابة الرسول ﷺ ولأطفال المسلمين الذين فقدوا آباءهم، ولأهل الحاجة والبؤس، وللغريب المنقطع بلا نفقة، حتى لا يكون المال حكراً يدور بين الأغنياء، ويُحرم منه الفقراء، وما أعطاكم الرسول من مال أو شَرَعَ لكم من حكم فاقبلوه واعملوا به، وما نهاكم عن أخذه أو العمل به فلا تأخذوه ولا تقربوه، واحذروا عذاب الله بطاعته وترك معصيته، إن الله شديدٌ عقابه لمن عصاه، قويٌّ بطشه لمن خالف شرعه، والآية أصل عظيم في وجوب اتباع السنة قولاً وعملاً وتقريرًا.

٨ ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

ويُعطى من هذا المال فقراء المهاجرين الذين طُردوا من مكة، وحُرموا من الأوطان والأموال، وخرجوا في سبيل الله ابتغاء رضوانه نصرةً له ولرسوله ﷺ، وهم الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وأتبعوا القول العمل فصار شاهدًا لصحة إيمانهم.

٩ ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

والذين استوطنوا المدنية من الأنصار قبل مجيء المهاجرين يفرحون بمن جاء من المهاجرين، ولا يحسدون المهاجرين على ما أعطاهم الله من الفيء وغيره، ويقدمون المهاجرين في العطاء والطعام ونحوه على أنفسهم، ولو كانوا محتاجين إليه أشد الحاجة، والذي يسلِّمه الله من البخل ومنع الفضل، ويجعله سخيًا جوادًا فهؤلاء هم الفائزون برضوانه، الحائزون كل ظفر، الناجون من سقر.

١٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

والذين جاؤوا بعد المهاجرين والأنصار من المؤمنين يدعون ربهم بالغفران لهم ولمن سبقهم في الإيمان، وألا يجعل الله في قلوبهم حسدًا أو حقدًا على المؤمنين؛ لأن الله متلطف بعباده بإيصال المحاب لهم، وصرف المكاره عنهم، رحيم يغفر الخطأ، ويجبر الكسر، ويعفو عن الزلة، وفي الآية وجوب حبّ الصحابة، والكف عما شجر بينهم، وعدم حمل الضغينة عليهم.

١١ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾

ألا تتعجب من المنافقين، يقولون لإخوانهم في الكفر من بني النضير لئن أخرجكم الرسول ﷺ من المدينة لنخرجن معكم تضامنًا ومواساة، ولا نخذلكم من أجل أحد من الناس كائنًا من كان، ولئن قاتلكم المسلمون لنقاتلنهم معكم، والله شاهد على كذب المنافقين في وعدهم لبني النضير، فهو ادعاء وافتراء.

١٢ ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾

والله لئن أَخْرَجَ الرسول ﷺ اليهود من المدينة لا يخرج معهم المنافقون، ووالله لئن قاتل المسلمون اليهود لا يقاتل معهم المنافقون ولا يدفعون عنهم، ولو فُرِضَ أن قاتلوا معهم ليَهربُنَّ وليَفِرُنَّ أذلاء مهزومين مخذولين.

١٣ ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

لخوف المنافقين منكم - أيها المؤمنون - أشدُّ من خوفهم من رب العالمين؛ لأنهم أناسٌ لا يفهمون ما لله من عظمةٍ وكبرياء، فلا يعرفون حقه وماله من هيبةٍ وتعظيم.

١٤ ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

لا يقاتلكم اليهود - أيها المسلمون - في ساح القتال وجهًا لوجه، ولكنهم يتحصَّنون في البيوت، أو وراء الحيطان، وهم مختلفون فيما بينهم، متخاصمون أشدَّ الخصام، تظنهم طائفة واحدة، وهم شيع وأحزاب؛ لأنهم لا يعقلون أمر الله، فيجتمعون على دينه ويطيعونه.

١٥ ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

مثل اليهود كمثل كفار قريش ويهود بني قينقاع؛ حيث وجدوا عاقبة عصيانهم من النكال والهزيمة في الدنيا، ولهم في الآخرة أشد العذاب، وأفظع العقاب.

١٦ ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

مثل هؤلاء المنافقين في خديعتهم لليهود على محاربة المسلمين ووعدهم بالنصر كذبًا وزورًا مثل الشيطان حين زين للإنسان معصية الرحمن، ثم خذله أشد الخذلان، وتركه وقت الامتحان، وقال له: أبرأ منك وأتخلى عنك؛ لأني خائف من رب الخليقة جل في علاه.

١٧ ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾

فكانت نهاية الشيطان والإنسان في معصية الرحمن أنه أدخلهما دار الخزي والهوان، خالِدَين فيها مدى الأزمان، وهذا جزاء كل معتدٍ آثم، فجور ظالم.

١٨ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يا أيها المؤمنون: خافوا الله وراقبوه وافعلوا ما أمر، واجتنبوا ما نهى عنه، ولتتفكر كل نفسٍ فيما قدمت أمامها من أعمال ليوم القيامة، واحذروا غضب الله بطاعته، فإنه -سبحانه- خبير بكل ما تعملون، لا تخفى عليه خافية، وسوف يجازيكم على أعمالكم من خير وشر.

١٩ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

ولا تشابهوا الذين تركوا طاعة الله، وأهملوا عبادته فأنساهم ما فيه صلاحهم من عمل الطاعات، واجتناب المحرمات حتى وقعوا في المهلكات، أولئك هم الخارجون عن طاعة الله، المطرودون من رحمته المستحقون لعذابه.

﴿٢٠﴾ ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾

لا يستوي أهل النار في الأنكال والأغلال وسوء الحال، ولا أهل الجنة أهل النعيم المقيم والأجر العظيم، والمقام الكريم، أهل الجنة ظفروا بأجَلِّ مطلوب، وحازوا كل مرغوب، ونجوا من كل مكروه.

﴿٢١﴾ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

لو خاطبنا بهذا القرآن جبلاً من الجبال ففهم معناه، وفقه فحواه لأصبح ذليلاً مخبتًا مشفقًا خوفًا من الله على صلابته وشدته، فكيف لا يخشع الإنسان عند تلاوة هذا الكتاب؟! وكيف لا يتدبر معانيه وينقاد لأحكامه؟!! وهو من لحم ودم وليس من صخر كالجبل، وهذه أمثال نسوقها للبشر لعلهم يفكرون في عظمته، ويتدبرون آياته، ويتأملون معجزاته.

﴿٢٢﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾

وهو الله - جل في علاه - المستحق للعبودية المستأهل للألوهية وحده لا إله غيره، ولا ربَّ سواه، عالم السرِّ والجهر، والحاضر والغائب والظاهر والخافي، وهو الرحمن بكل أحد، الرحيم لأهل طاعته، عمّت رحمته حتى العصاة، وخصّ بمزيدها من اتبع رضاه.

﴿٢٣﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

هو الله - سبحانه - المعبود بحق لا إله إلا هو، ولا يجوز أن يُعبد غيره ولا يؤلّه سواه، ملك كل موجود، المدبر للكون، المتصرف في الخليقة، المبرأ من كل عيب، المنزّه عن كل نقص، السالم من كل شين، الجامع لصفات الكمال والمدح والحمد، المصدق أنبياءه بما أرسلهم بالمعجزات والآيات البينات، الذي قهر سواه، وقصم من عاداه، الرقيب على ما أظهره العبد وأخفاه، العزيز الذي لا يُغالب ولا يعجزه أحد، الجبار الذي سخّر من أراد لما أراد، وعمّ سلطانه على خلقه بتمام قهره وعلو قدره، المتكبر فله صفات الكبرياء والعظمة في المحامد والأسماء، تقدّس عن كل عيب، وتنزّه عن كل شريك، وجلّ عن كل نقص.

﴿٢٤﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

وهو - سبحانه - الإله الحق وحده، أوجد من العدم، وأنشأ الخليقة على مقتضى حكمته، صوّر خلقه على ماشاء، له كل اسم حسن، جمع الكمال والجلال والجمال، يقدّسه وينزّهه ويمجده كل مخلوق في السماء والأرض، وهو العزيز في تفرّده بالملك عن الأنام، شديد الانتقام، قاهر فيما قدر من الأحكام، وهو الحكيم فيما قضى وقدَّر، وخلق وصوَّر، وقدَّم، وأخَّر.

مدنية

سورة الممتحنة

ترتيبها ٦٠ | آياتها ١٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾

يا أيها المؤمنون: لا تجعلوا عدوي وعدوكم من الكفار والمنافقين أحبابًا لكم تخلصون لهم المودة، فتطلعوهم على أسرار المسلمين، وقد كفروا بالرسالة وهم طردوا الرسول ﷺ وطردوكم من مكة بسبب إيمانكم بالله، فإن كنتم - أيها

المؤمنون - هاجرتم لوجه الله وطلب مرضاته فلا توالوا أعداء الله، ولا تُحبُّوا من حارب الله وتخلصوا لهم الود، والله مطلع على نياتكم وما ظهر من أعمالكم، فاحذروه، ومن يتولهم من دون المؤمنين فقد ضلَّ طريق الهدى، ووقع في الردى.

٢ ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾

إن يجدكم هؤلاء الأعداء يكونوا لكم محاربين، ويمدّوا إليكم أيديهم بالقتل، وألسنتهم بالشتم، ويتمنوا لو ترتدون عن الإسلام فتصبحوا مثلهم في الضلالة والكفر بالرسالة.

٣ ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

لن تنفعكم الأحساب والأنساب يوم الحساب إذا واليتم الكفار من أجل الأقارب والأولاد، ويوم القيامة يفرق الله بين أهل الإيمان وعبدة الأوثان، فأولئك في الجنان، وهؤلاء في النيران، والله مطلع على كل خافية من أعمالكم وأقوالكم، خبير بأحوالكم.

٤ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۖ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾

قد كانت لكم قدوةٌ حسنةٌ في إبراهيم ﷺ وأتباعه لما تبرؤوا من قومهم الكفار، ومن عبادتهم من دون الواحد القهار، وأنكروا عليهم غاية الإنكار، وأظهروا لهم العداوة بالأقوال والأفعال والبغضاء بالقلوب ما داموا على الكفر، حتى يوحدوا الله بالعبادة، لكن لا تقتدوا بإبراهيم في استغفاره لأبيه، فإن ذلك قبل أن تظهر لإبراهيم عداوة أبيه لربِّه - تعالى -، فلما ظهرت له تلك العداوة تبرأ منه، وعليكم بدعاء الله والتوكل عليه، وصدق التوبة له والإنابة إليه، فإن المرجع والمنتهى إليه يوم القيامة.

٥ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

يا ربنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا بارتدادنا عن الإسلام، فلا يثقون بالدين، أو لا تسلطهم علينا وتنصرهم، فيقولوا: لو كانوا على حقٍ ما غلبناهم، واستر خطايانا وامحُ زلاتنا فإنك عزيز لا يُغلب جندك، ولا يُهزم حزبك، حكيم فيما قدَّرته وقضيته، أحسنت كل شيء خلقته، وأتقنت كل شيء صوَّرته.

٦ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾

لقد كان لكم - أيها المؤمنون - في إبراهيم ومن معه قدوة صالحة تفعلون فعلهم في البراءة من أهل الضلالة، يفعل هذا من أراد الخير من الله في دنياه وآخرته، ومن صدّ عن الطريق المستقيم فالله غني عنه، وليس بحاجةٍ لأحد من عباده، محمود في ذاته وصفاته، يحمد من أقبل عليه فيثيبه، ويحمد في الضراء والسراء معًا.

٧ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

عسى الله أن يجعل بينكم - أيها المؤمنون - وبين الكفار حبًا بعد بغض، وصلحًا بعد حرب؛ بأن يسلموا، والله قادر على شرح صدورهم للإسلام، غفور لما سلف منهم من آثام، رحيم لمن تاب إلى الله ودخل في دينه بعد عبادة الأصنام.

٨ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾

لا ينهاكم الله عن إكرام من لم يقاتلوكم على الإسلام، ولم يخرجوكم من الأوطان، بل تعاملوا معهم بالعدل والإحسان؛ لأن الله يحب العادل في معاملته وأحكامه، وفيه التفريق في المعاملة مع الكفار بين المحارب والمسالم.

٩ ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

لكن ينهاكم - سبحانه - عن إكرام من قاتلكم على الإيمان، وأخرجكم من الأوطان، وعاون عليكم عبدة الأوثان، فلا تصالحوهم ولا تَلِينوا لهم، ومن أحبهم وتولاهم فهو ظالم؛ لأنه جعل الأمر في غير موضعه، وتعدّى الحدود في المواثيق والعهود.

١٠ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

يا أيها المؤمنون: إذا أتى إليكم النساء المؤمنات مهاجرات من ديار الكفر إلى ديار الإسلام فاختبروا إيمانهن؛ لتعلموا صدقهن، الله أعلم بالنيات وحقيقة الأمر، فإذا تأكدتم من إيمانهن بما ظهر منهن فلا تعيدوهن إلى أزواجهن الكفار؛ لأنهن محرّمات عليهم لاختلاف الدين، وسلموا لأزواجهن مثلما دفعوا من المهور على نسائهم، ولا حرج عليكم أن تتزوجوهن إذا دفعتم لهن المهر، ولا تتمسكوا بنكاح زوجاتكم الكافرات، وخذوا من الكفار المهور التي سلمتموها زوجاتكم اللاتي ذهبن لديار الكفر، وللكفار أن يطلبوا مهور نسائهم اللاتي أسلمن، وهذا حكم الله وشرعه، فاتبعوه واعملوا به، والله عليم بالخوافي مطلع على كل صغيرة وكبيرة، حكيمٌ فيما يقول ويفعل ويحكم. وفي الآية غاية العدل والإنصاف حتى مع العدو الكافر.

١١ ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾

وإذا ذهبت زوجاتكم إلى بلاد الكفر ولم يسلم لكم الكفار مهورهن، فانتصرتم على الكفار فخذوا من الغنائم بقدر ذاك المهر، وراقبوا الله واخشوه، فلا تأخذوا ما ليس لكم ولا تَدَّعوا باطلاً؛ لأنكم آمنتم بالله وصدقتم كتابه ورسوله ﷺ.

١٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يا أيها النبي: إذا وفد إليك النساء ليبايعنك على الإسلام، ويعاهدنك على ترك الشرك، واجتناب السرقة، والزنا، وقتل الأبناء، ولا يلحقن الأزواج أولادًا من الزنا، ولا يخالفنك في خير دعوت إليه، فعاهدهن واطلب إلى الله أن يغفر لهن ما سلف، فإن الله غفّار الذنوب، ستّار العيوب، رحيم بمن يتوب، ودود بمن يؤوب.

١٣ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾

يا أيها المؤمنون: لا تتخذوا من غَضِبَ الله عليهم أحبابًا وأنصارًا وأخِلاء، قد يئسوا من رحمة الله يوم القيامة كما يئس الكفار المقبورون من رحمة الله في الآخرة، أو كما يئس الكفار من بعث أهل المقابر.

مدنية

ترتيبها ٦١

سورة الصف

آياتها ١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

قَدّسَ الله عن المعائب، ونزَّهَهُ عن النقائص، ومجَّدَهُ بأنواع المحامد، كلُّ من في السموات والأرض من مخلوق، وهو عزيز يقهر غيره، لا يغالبه أحد، حكيمٌ في خلقه وأمره وأحكامه وشرعه.

٢ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

أيها المؤمنون: لم تقولون أقوالاً لا تصدقها الأفعال؛ كوعد بلا وفاء، أو قول بلا صدق، أو تحمل بلا أداء.

٣ ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

عَظُمَ سخطًا وكُبُرَ غضبًا إذا قلتم بألسنتكم ما لم تفعلوه، فلم تتبعوا القول العمل.

٤ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

إن الله يحب المؤمنين الذين يقاتلون لإعلاء كلمته صفًا متراصًا متلاصقًا محكمًا يدل على القوة والتعاون، لا ينفذ منه عدو، فهم شجعان منظمون، لا جبناء متفرقون. وفي الآية إثبات محبة الله، وفضل الجهاد في سبيل الله.

٥ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

واذكر يوم قال موسى ﷺ لقومه لماذا تؤذونني بالشتم ومخالفة أمري وعصيان ربي، وأنتم عالمون أن الله أرسلني؟ فلما تركوا الهدى بعدما علموه، واستمروا على الغواية صرف الله قلوبهم عن الهداية وخذلهم عن الرشد، ولم يوفقهم للصواب، والله لا يسدد من خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة، وترك منهج الحق، وأبى الهدى.

٦ ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

واذكر حينما قال عيسى ابن مريم - عليه السلام - لقومه: إن الله أرسلني إليكم أصدق ما نزل في التوراة على موسى قبلي، وأشهد بصدق رسول يأتي بعدي اسمه (أحمد)، وهو الرسول محمد ﷺ، وأدعو إلى الإيمان به، فلما جاء محمد ﷺ المشركين بالآيات البينات والمعجزات الواضحات قال المشركون: هذا الذي جئت به سحرٌ ظاهر، كذبًا منهم وزورًا.

٧ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

لا أحد أظلم من الذي يختلق الكذب، وهو الذي يدعي لله شركاء وصاحبة وولدًا، تعالى الله عن ذلك، ويُدْعَى هذا المفتري إلى اعتناق الإسلام فيأبى، والله لا يوفق للهدى من ظلم نفسه بالكفر، ولا يرشده إلى صواب؛ لأنه تعدى الحدّ في الكفر والصدّ.

٨ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

يريد هؤلاء الكفار أن يبطلوا هذا الهدى الذي بُعث به الرسول ﷺ بأقوالهم الآثمة، وأوصافهم الكاذبة، مثل: أنه سحر، وشعر، وكهانة، ولكن الله سوف ينصر دينه، ولو كره هذا الدين الجاحدون من أعدائه، فعلى رغم أنوفهم سوف يعلو.

٩ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾

الله وحده الذي أرسل محمدًا ﷺ بالعلم النافع والعمل الصالح، وهو دين الإسلام؛ ليرفعه على كل دين، ولو كره هذه الرفعة المشركون، فأمر الله واقع لا محالة.

١٠ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

أيها المؤمنون: هل أرشدكم إلى تجارة عظيمة، وربح بيّن تنجون به من العذاب المؤلم الموجع، فكأنهم قالوا: نعم نريد ذلك.

١١ ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

فكان الجواب: تثبتون على الإيمان بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمته بأنواع الجهاد من بذل المال والنفس. وكل هذا أفضل لكم من تجارة الدنيا الزائلة إن كنتم تعلمون التمييز بين المنافع والمضار والمصالح والمفاسد.

١٢ ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

فإذا قمتم بهذا غفر الله لكم السيئات، وحطَّ الخطيئات، وأدخلكم الجنات التي تجري فيها الأنهار تحت الأشجار، ومساكن من الدور والقصور، مريحةً آمنة طاهرةً زكيةً في إقامةٍ دائمة، ونعيم مستمر، ذلك هو الظفر لا ظفر بعده، وهو أعلى نجاح، وأكرم فلاح.

١٣ ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

وأمنية عظيمة أخرى تودّون حصولها وهي: نصر الله لكم على الكفار، وفتحٌ عاجل لكم، وبشِّر - أيها النبي - من آمن بك بكل خير في الدنيا والآخرة من الانتصار والرفعة والسؤدد، والحياة الطيبة والعاقبة الحميدة، ثم الجنة.

١٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾

أيها المؤمنون: كونوا أنصارًا لدين الله كما كان أصفياء عيسى - عليه السلام - أنصارًا لدين الله حينما سألهم عيسى: من يكون منكم ناصرًا ومعينًا لي فيما يقربني من الله؟ فقالوا: نحن هؤلاء الأنصار، فاستقامت جماعة من بني إسرائيل على منهج الله، وانحرفت جماعة عنه، فنصر الله من استقام على أعدائهم من كل فرقة خالفتهم من النصارى، فصاروا عالين عليهم، منصورين بنصر الله.

مدنية

سورة الجمعة

ترتيبها ٦٢ | آياتها ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

يُنزِّه الله عن كل عيب، ويقدِّس الله عن كل نقص وعما لا يليق به كلُّ ما في السموات، وكلُّ ما في الأرض، وهو وحده مالك كل شيء، ومدبره والمتصرف فيه، لا ينازعه في سلطانه أحد، وهو المنزّه عن كل نقصٍ، الذي عَزَّ فغلب، وعلا فقهر، وله الحكمة المطلقة في الصنع والتقدير، والحكم والتدبير.

﴿٢﴾ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

الله وحده الذي أرسل في العرب الذين لا يقرؤون، وليس عندهم كتب ولا رسالة سابقة، أرسل إليهم محمدًا ﷺ، وهو منهم نسبًا ودارًا، يقرأُ عليهم القرآن ويزكيهم بالحكمة والقرآن، ويطهرهم من كل دنس وعصيان، ويعلمهم الآيات البينات، والأحاديث المباركات، وقد كانوا قبل البعثة في انحراف عن الهدى، وانغماس في الردى.

﴿٣﴾ ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

وأرسل الله محمدًا ﷺ إلى أناس آخرين لم يأتوا بعد سيولدون من العرب وغيرهم، وهو وحده العزيز في ملكه، فلا يُغالب، قوي في حكمه، قاهر لسواه، حكيم في قوله وفعله وشرعه وصنعه.

﴿٤﴾ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

هذه البعثة المحمدية الكريمة العظيمة منَّة من الله وفضل منه على الخليقة، يعطي الله هذا الفضل من الرسالة والهداية من أراد من عباده، وهو ذو الإحسان العظيم والخير العميم، فضله لا يرد، وجوده لا يُعد، وعطاؤه لا يُحد.

﴿٥﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

شبَّه الله اليهود الذين تعلموا التوراة ثم لم يعملوا بها؛ كالحمار الذي يحمل على ظهره كتبًا لا يعلم منها شيئًا، ولا ينتفع بها، قُبِّحَ والله هذا التشبيه للذين كذّبوا بآيات الله وخالفوا رسوله، ولم ينتفعوا بالعلم النافع، والله لا يوفق كل ظالم لطريق الصواب، ولا يرشده إلى الهدى؛ لأنه آثر الغي، واختار الضلال.

﴿٦﴾ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

قل - أيها النبي - لليهود: إن كنتم صادقين في دعواكم أنكم أحباب الله، فتمنوا لقاء الله عن طريق الموت؛ لأن الحبيب يشتاق إلى لقاء حبيبه، والمحب لا يعذِّب من أحبّ.

﴿٧﴾ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

ولكن هؤلاء اليهود لا يتمنون الموت أبدًا من شدة حبهم للحياة الدنيا، وشهواتها، وخوفًا من عقاب الله بسبب ما قدموا من سوء الفعال، وقبيح المعاصي، والله عليم بأحوال الظالمين المتعدين لحدوده، لا يخفى عليه من عملهم شيء، وسوف يحاسبهم.

٨ ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

قل لليهود: إن الموت الذي تهربون منه واقعٌ بكم لا محالة إذا تم الأجل، فهل من الموت مفر؟ وبعد الموت تعودون إلى الله، عالمٌ بما خفي وما ظهر، وما أسرَّ وما أعلن، لا تغيب عنه غائبة، ولا يعزب عن علمه شيء، فيخبركم بما صنعتم، ويجازيكم بما فعلتم.

٩ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

يا أيها المؤمنون: إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة فتعالوا لسماع الخطبة، وحضور الصلاة، واتركوا البيع والشراء وكل ما يلهيكم، وهذا الذي أمركم الله به خير لكم لما فيه من الثواب العظيم، والمغفرة لذنوبكم، إن كنتم تعلمون ما ينفعكم، فتفعلون ما فيه صلاحكم من العمل، كما أن حضور الجمعة واجب عليكم.

١٠ ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

فإذا استمعتم للخطبة وحضرتم الصلاة فاذهبوا في أنحاء الأرض لطلب المعاش، وأكثروا من ذكر الله في كل زمان ومكان، ففيه الفوز والفلاح والظفر والنجاح في الدنيا والآخرة.

١١ ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾

وإذا رأى بعض الناس تجارةً أو لهوًا تفرقوا وتركوك - أيها النبي - قائمًا تخطب، وآثروا الفاني على الباقي، فأخبرهم أن ما عند الله من الأجر العظيم والنعيم المقيم أفضل من كل ما يلهي من زينة الدنيا، وزخرفها وتجارتها، وهو - سبحانه - خير من وهب وأعطى، ومنح وأسدى.

مدنية

آياتها	سورة المنافقون	ترتيبها
١١		٦٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾

إذا حضر عندك - أيها النبي - المنافقون وقالوا لك بألسنتهم كذبًا: نشهد إنك لرسول من عند الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما أظهروه من الكلام وأخفوه من الكفر بك وبالإسلام، فهم أعلنوا التصديق وأسروا التكذيب.

٢ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

جعل المنافقون حلفهم سترةً ووقاية من العقاب والتعزير، وأعرضوا عن الحق ومنعوا غيرهم من الدخول في الإسلام، فَقَبُح فعلهم وساء تصرفهم، فألسنتهم كاذبة، وقلوبهم كافرة.

٣ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

وسبب ذلك أنهم أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، فختم الله على قلوبهم بسبب نفاقهم، فحرمهم الفَهْمَ عنه وعن رسوله ﷺ، فأصبحوا لا يفقهون ما يُقال لهم.

٤ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

وإذا شاهدت هؤلاء المنافقين أعجبتك أشكالهم وهيئتهم؛ فعندهم فصاحة، لكن في قلوبهم فقر من الإيمان، وفي نفوسهم وحشة من الحق، مع سخف عقولهم، وانعدام فهمهم، فتراهم كالخشب المعتمدة على الجدران، يابسة لا حياة فيها ولا نماء، يظنون كل صوت من حادث أو نازلة واقعًا بهم لسوء ظنهم، ومعرفتهم بقبح عملهم، ولجبنهم وهلعهم، فهم أشد الأعداء، وألدُّ الخصوم، فخذ الحيطة من مكرهم، واحذر من خداعهم، أخزاهم الله، وأهلكهم وأذلَّهم كيف ينحرفون عن الهداية، وينصرفون عن الحق إلى الغواية والباطل.

٥ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾

وإذا قال المؤمنون للمنافقين: أَقْبِلوا إلى رسول الله ﷺ وتوبوا من أقوالكم المشينة وأفعالكم القبيحة ليطلب الرسول إلى ربه الغفران لكم، فإن المنافقين حينها يحركون رؤوسهم بالمنع استخفافًا واستهزاءً، وتراهم يعرضون عن الهدى، ويستكبرون عن الحق، فهم لا يتبعون رشدًا، ولا يقبلون نصحًا؛ لفساد القلوب وعمى البصائر.

٦ ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

سواء على هؤلاء المنافقين: أطلبت إلى ربك الغفران لهم أم لم تطلب - أيها النبي - فلن يسامحهم الله، ولن يعفو عنهم، ولن يتجاوز عن ذنوبهم؛ لأنهم مصرون على الكفر، معتقدون التكذيب، والله لا يوفق من كفر به وخرج عن طاعته، وحارب رسوله وشرعه.

٧ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾

هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل المدينة من الأنصار لا تتصدقوا على المهاجرين حتى يمسهم الفقر ويتفرقوا عن الرسول ﷺ ويتركوه وحده، أفلا يعلم هؤلاء المنافقون أن عند الله وحده خزائن الأرزاق، وعليه رزق ما في السموات والأرض، فهو الرازق وحده، أجود من أعطى، وأكرم من سُئل؟ غير أن السبب في فعل هؤلاء المنافقين أنهم لا يفهمون ما لله من جلال، وما عنده من قدرة، وما لديه من أرزاق.

٨ ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

يقول هؤلاء المنافقون: إذا رجعنا من الغزو إلى المدينة فسوف يُخْرِج الأعز منا - يقصدون أنفسهم - الأذل - يقصدون المهاجرين -، فأخبرهم الله أن العزة المطلقة له ولرسوله ﷺ وللمؤمنين من أتباع محمد، ولكن المنافقين لا يعلمون هذا؛ لما استحكم عليهم من الجهل، وسوء الفعل وسخف العقل.

٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

أيها المؤمنون: لا تشغلكم الأموال والأولاد كما أشغلت المنافقين عن طاعة رب العالمين، ومن شغله ماله وولده عن عبادة ربه فهذا هو المغبون حظه من الله، المضيع نصيبه من الثواب، المفرط فيما ينفعه، خسرت صفقته، وخاب سعيه.

١٠ ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾

وتصدقوا - أيها المؤمنون - مما وهبكم الله إياه من مال في سبيله -سبحانه- قبل أن يهجم عليكم الموت بغتة، حينها لا وقت للإنفاق، ولا زمن لعمل الصالحات، فإذا وقع الموت قال الإنسان متحسِّرًا متأسفًا: يا رب لماذا لم تمهلني قليلاً من الزمن؟ فأُنفق فيما يرضيك، وأسعى في مراضيك، وأجاهد فيك، وأكون مع الأبرار الأخيار.

١١ ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

والله لا يؤجل نفسًا حان موتها، وانقضى عمرها، فلا تتقدم ساعة عن الأجل ولا تتأخر ساعة، وهو وحده -سبحانه- الخبير بالأعمال والأحوال، المطلع على الخوافي، العالم بالنيات، وسوف يحاسبكم على ما فعلتم فأعِدّوا العدة.

مدنية

سورة التغابن

ترتيبها ٦٤ | آياتها ١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

ينزه الله عما لا يليق به ويقدسه عن المعايب والنقائص، ويمجده بالمحامد ما في السموات والأرض، له الخلق والتدبير والتصرف والتقدير، وله الثناء الحسن الجميل المتضمن لأجَلِّ المدائح وأشرف المجد، وهو الذي لا يعجزه شيء أن يفعله، ولا يتعاظمه أمر، قدرته نافذة ومشيئته ماضية.

﴿٢﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

الله وحده الذي أوجدكم من العدم، ففريق منكم كفر بألوهيته، وفريق آمن به واتبع رسله، وهو مطلع على أعمالكم، عالم بأسراركم لا يخفى عليه منكم خافية، وسوف يحاسبكم بما فعلتم.

﴿٣﴾ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

أوجد السموات والأرض وسواهما بحكمة بالغة، وإتقان جميل، وخلقكم - أيها الناس - فحسَّن صوركم، وأبدع خلقكم، وإليه تعودون، فيجازي كل عامل بما عمل بالعدل.

﴿٤﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض، قد علم ما فيهما وما بينهما، فلا تغيب عنه غائبة، ويعلم ما تضمرونه - أيها الناس - وتخفونه، ويعلم ما تضمّه الصدور من نيات وما تخفيه النفوس.

﴿٥﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

ألم يأتكم أخبار الكفار على مر الأعصار أذاقهم الله عاقبة سوء أفعالهم ومغبة كفرهم بالرسل، هذا في الدنيا، ولهم عند الله في الآخرة عذاب النار وبئس القرار.

﴿٦﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

ذلك الذي عاقبهم الله به في الدنيا والآخرة لأجل أنهم كذبوا الرسل لما جاؤوهم بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات، فأنكروها وردوها وقالوا: كيف ينصحنا أناس مثلنا؟ فكذبوا وكفروا بربهم وأعرضوا عن الهدى، ولم يقبلوا الحق، بل صدوا عنه، واستغنى الله عنهم، فليس بحاجة إليهم وإلى إسلامهم؛ لأنه الغني غنى مطلقًا عامًا شاملاً، فهو محمود في ذاته وصفاته وأفعاله وأقواله، وهو غني عمن تولى، يحمد عمل من أقبل، يعاقب الكافر، ويثيب الشاكر.

﴿٧﴾ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

ادعى الكفار أنهم لن يعودوا بعد الموت أحياء، قل لهم - أيها الرسول -: بلى والله ليعيدنكم من خلقكم، وليبعثنكم من أماتكم أحياء تحاسبون، يخبركم بما عملتم، ويجزيكم بما فعلتم؛ وهذا سهل هينٌ عليه؛ لأنه قدير على كل شيء، فهو الذي بدأكم، وهو قادرٌ على إعادتكم أحياءً، والإعادة أهون من الابتداء، والكل عليه هينٌ.

٨ ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾

فصدقوا بما أنزل الله، وصدقوا رسول الله، واتبعوا هدي القرآن الذي نزل على رسوله ﷺ؛ لأن الله مطلع على أعمالكم لا يخفى عليه شيء من أحوالكم، وسيحاسبكم على أفعالكم.

٩ ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾

واذكروا يوم الفصل يوم يأت الله بالأولين والآخرين، وذلك اليوم يوم ندامة الإنسان، وأسف أهل الطغيان، وغبن من وقع في العصيان، ومن يؤمن بربه ويعمل بطاعة مولاه، فالجنة مصيره أنهارها من تحت أشجارها، ونورها ملءُ قصورها، وسرورها عَمَّ دورها، فهم في النعيم خالدون، وهذا هو الفلاح الأبدي والفوز السرمدي.

١٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾

والذين جحدوا بالآيات وكذبوا بالرسالات هم أهل النار، المستحقون لغضب الجبار ما دام الليل والنهار، وساءت والله دار القرار.

١١ ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾

ما أصاب البشر من ضرر بقضاء وقدر، ومن يصدق بقضاء ربه يُنَزِّل السكينة على قلبه، والله عليم بمن صدق واستسلم وأذعن لأمر ربه المحكم، وقضائه المبرم.

١٢ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾

وأطيعوا الله - أيها العباد - بفعل ما أمر به من الرشاد، وترك ما نهى عنه من الإثم والفساد، وأطيعوا الرسول ﷺ باتباع سنته واقتفاء سيرته ونصر ملته، فإن أعرضتم عن الهداية، واخترتم الغواية، فليس على الرسول من كفركم ضرر، فقد أنذر وأعذر، وحذَّر وبشَّر، وإنما عليه البلاغ المبين وتوضيح السبيل للسالكين.

١٣ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾

الله وحده المستحق للعبودية الذي لا تصح إلا له الألوهية، فعليه فليعتمد كل مؤمن، وبه يثق كل مسلم، وإليه يتجه كل موحد.

١٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾

أيها المؤمنون: إن بعض أزواجكم وبعض أولادكم أعداءٌ لكم يشغلونكم عن الطاعات، وقد يوقعونكم في المحرمات، ويثبطونكم عن الواجبات، فخذوا الحذر منهم وقدموا مراد الله على مرادهم، وإن تتجاوزوا عن سيئاتهم وتعرضوا عن مؤاخذتهم بها، وتستروهم ولا تفضحوهم فإن الله يجازيكم بالمثل؛ فيغفر ذنوبكم، ويستر عيوبكم، ويمحو خطاياكم، ويُسَدِّدُ خللكم.

١٥ ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾

ما أموالكم ولا أولادكم في الحقيقة إلا اختبار لكم في مسألة الشكر والكفر، والجزع والصبر، والطاعة والمعصية، وما عند الله أعظم وأكرم لمن آثر شكره وصبر لحكمه، وأطاع أمره، ولم يقدم على دين الله أحدًا.

١٦ ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾

فاجتهدوا في الطاعة على قدر الاستطاعة، واسمعوا الوحي سماع تقبل واستجابة، وأطيعوا الله ورسوله بفعل المأمور وترك المحذور، وتصدقوا مما أعطاكم الله لوجه الله، فخيره عائد إليكم من الزيادة والطهارة والثواب، ومن سلم من البخل، وأعطى الفضل، استحق العطاء الجزل، فظفر بأجلِّ مطلوب، وحصل على كل مرغوب.

﴿١٧﴾ ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾

إن أنفقتم الأموال لوجه ذي الجلال بإخلاصٍ من كَسْبٍ حلال، ضاعف الله لكم ثواب ما أنفقتم، وأجزل لكم أجر ما تصدقتم، وغفر بالصدقة ذنوبكم، وستر بالجود عيوبكم، والله شكور بحسن الثواب لمن أعطى، حليم على من أخطأ، لا يعجل العقوبة لمن عصى.

﴿١٨﴾ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

الله وحده عالم بما غاب وما حضر، وما خفي وما ظهر، عزيز لا يغالب، حكم فقهر، له الحكمة المطلقة في أقواله وأفعاله.

مدنية

سورة الطلاق

ترتيبها ٦٥ | آياتها ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾

يا أيها النبي: إذا أردت أنت وأتباعك من المؤمنين أن تطلقوا نساءكم فليقع الطلاق في طهر لم يجامع فيه مستقبلات للعدة، واحفظوا العدة، لتعرفوا متى تكون المراجعة إذا أردتم إعادة النساء إليكم، وراقبوا الله في كل ما تأتون وتذرون، لا تخرجوا نساءكم إذا طلقتموهن من بيوت إقامتهن حتى تكتمل العدة، وهي ثلاث حيَضٍ لغير الصغيرة والآيسة من الحيض والحامل، ولا يحل لهن الخروج من البيوت إلا إذا ارتكبن معصية كبيرة ظاهرة كالزنا، وتلك أحكام الله في الكتاب والسنة، ومن يتجاوزهن بمخالفة فقد أورد نفسه المهالك، وحمّلها ما لا تطيق، لا تعلم أيها المطلق لعل الله يقدِّر أمرًا لا تتوقعه بعد الطلاق فتراجعها.

﴿٢﴾ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾

فإذا أوشكت المطلقات على اكتمال العدة فراجعوهن مع جميل العشرة الزوجية والإنفاق بالحسنى، أو فارقوهن مع إعطائهن حقوقهن بلا نقص، وأشهدوا رجلين عدلين مسلمين على الطلاق والرجعة، واتقوا في الشهادة أن تكون خالصة لله لا لغرض آخر، هذه الأحكام ينصح بها من آمن بالله وصدق بلقائه، ومن يخش الله فيمتثل أمره ويجتنب نهيه يجعل له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا.

﴿٣﴾ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾

ومن يتق ربه يسهِّل رزقه من حيث لا يدور بباله، ولا يخطر بخياله، ومن يعتمد على ربه في كل أمر كفاه ما أهمَّه، وكشف عنه ما أغمه، وأنجاه من كل ملمّة، إن أمر الله بالغ نافذ لا يفوته شيء ولا يعجزه مطلوب، قد جعل الله لكل أمر أجلاً، ولكل نازلة حدًا.

٤ ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾

والمطلقات اللواتي انقطع عنهن الحيض؛ لكبر السن، فإذا شككتم في عدتهن فاجعلوها ثلاثة أشهر، وكذلك الصغيرات اللاتي لم يحضن، وكل حامل عدتها أن تضع حملها، ومن يخش ربه بعمل ما شرع، وترك ما نهى عنه، يسِّهل أمره، ويشرح صدره.

٥ ﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾

ذلك المذكور من أحكام العدة والطلاق حكم الله أنزله على رسوله لكم - أيها المسلمون - لتعملوا به، ومن يراقب ربه ويؤد ما أوجبه عليه ويجتنب ما حرّم يغفر ذنبه، ويستر عيبه، ويجزل ثوابه، ويدخله جنته.

٦ ﴿ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴾

أسكنوا زوجاتكم المطلقات المعتدات في بيوتكم على قدر طاقتكم وسعتكم من الغنى والفقر، ولا تؤذوهن بالمضايقة في البيوت ليخرجن منها، وإن كن حوامل فعليكم النفقة من أجل الحمل حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن أبناءهن منكم فادفعوا إليهن أجرة الرضاعة، وليذكر بعضكم بعضًا بكل خير من سماحة وحلم وطيب نفس، وإن لم تعطوا الأم أجرها أو امتنعت من الرضاعة فغيرها من النساء سوف ترضع الطفل بأجرة.

٧ ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾

وعلى الزوج النفقة على امرأته وعلى ولده إذا كان ماله كثيرًا، والفقير بقدر ما لديه من رزق الله، ولا يكلف الفقير في الأجرة كأجرة الغني، فكلٌ بقدر ما أعطاه الله، والله سوف يجعل بعد كل ضيق مخرجًا، وبعد كل هم فرجًا، فبعد الفقر غنى، وبعد البلاء عافية.

٨ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴾

وكم من قرية خالف أهلها أمر الله وعصوا رسله فعاقبهم الله بذنوبهم في الدنيا بالمحن والابتلاءات العظيمة، والكوارث الشديدة، ثم عذبها الله في الآخرة عذابًا مؤلمًا موجعًا فظيعًا على سوء العمل وقبيح الفعل.

٩ ﴿ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴾

فتجرع أهلها عاقبة ما فعلوا وذاقوا جزاء ما صنعوا، فصار مصيرهم الهوان والخذلان وغضب الجبار في النار.

١٠ ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴾

هيأ الله لهؤلاء الفجار عذابًا أليمًا في النار؛ لأنهم كفروا به وكذبوا رسله، فاعتبروا يا أهل العقول الراجحة والفطر السليمة بما أصابهم، وخذوا حذركم بتقوى ربكم، فقد أنزل الله عليكم ما يذكركم بما ينفعكم وينبهكم على ما فيه هلاككم.

١١ ﴿ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴾

وهذا الذكر هو الرسول ﷺ الذي أتى بالآيات البينات والحكم البالغات، حتى يخرج المؤمنين أصحاب الطاعات من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن يؤمن بربه، ويطعْ أمره، ويجتنب نهيه يدخله جنات تجري أنهارها تحت أشجارها، مقيمين في نعيمها أبدًا بلا تحول ولا زوال، قد أحسن الله لهم ما أعطاهم من نعيم مقيم في مقعد كريم، ومقام عظيم.

﴿١٢﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾

الله وحده الذي خلق سبع سموات، وخلق سبعًا من الأرضين لم يشرك في خلقهن غيره، ولم يستعن بسواه، وأنزل الوحي على رسوله ﷺ وكل ما فيه تصريف خلقه، وتدبير شؤونهم، حتى تتيقنوا - أيها العباد - أنه - سبحانه - على كل شيء قدير، لا يعجز عن شيء ولا يتعاظمه أمر، قدرته نافذة، وحكمه غالب، وأن علمه -سبحانه- شمل كل شيء، فلا تغيب عن علمه غائبة، ولا يخفى عليه أمر؛ لأنه الخلاق العليم، فالخلق قدرة وإتقان، والعلم اطلاع وإحسان.

مدنية

سورة التحريم

ترتيبها ٦٦ | آياتها ١٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

يا أيها النبي: لماذا تمنع نفسك من الحلال الذي أحله الله لك؟ وتقسم على تركه إرضاء لزوجاتك، والله يغفر ذنب من تاب، ويرحم من أناب إليه برحمته. وقد جعل لليمين كفارة.

﴿٢﴾ ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

قد شرع الله لكم كفارة لليمين إذا أردتم عدم إمضائها، والله يتولى أموركم برحمته، فخفف عليكم بالكفارة، وهو عليم بما يصلحكم، حكيم في شرعه الذي أنزله عليكم، فاحتكموا إلى شرعه، وارضوا بحكمه.

﴿٣﴾ ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾

وإذ أسرَّ النبي إلى زوجته (حفصة) بحديث مخصوص، فأخبرت (عائشة) فأخبر الله رسوله ﷺ بإفشاء (حفصة) سرَّه، فأخبر (حفصة) ببعض ما أخبرت به، وترك بعضًا تكرمًا، فقالت: من أخبرك بهذا وهو سرّ قال: أخبرني الله الذي لا تخفى عليه خافية، عليم بما خفي وظهر، حكيمٌ فيما شرع وقدّر.

﴿٤﴾ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾

إن تتوبا يا عائشة ويا حفصة إلى الله من الميل إلى ما كرهه الرسول ﷺ حيث حصل إفشاء سر الرسول ﷺ، وإن تتعاونا على الرسول ﷺ بما يكرهه فإن الله يتولاه وينصره وجبريل معه وكل صالح من المؤمنين في صفه، والملائكة أعوان له على من يؤذيه ويعاديه.

﴿٥﴾ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا﴾

عسى رب الرسول ﷺ أن يعوِّضه إذا طلقكن زوجات طائعات له، منقادات لأمره، عائدات إلى الله بالتوبة والإنابة، كثيرات التعبد لله، صائمات، منهن ثيبات ومنهن أبكار.

٦ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾

أيها المؤمنون: اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، واحفظوا أهلكم كأنفسكم؛ بأمرهم بطاعة الله وترك معاصيه، واحذروا النار التي وقودها الكفار والأحجار، عليها ملائكة الملك الجبار، أقوياء في أنفسهم قساة في معاملاتهم، لا يخالفون أمر الله، ولا يرتكبون نهيه، يطيعون ولا يعصون.

٧ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

أيها الكفار: ذهب وقت الاعتذار، وقد سبق منكم الكفر في الدنيا، فلكم النار، جزاءً على فعلكم المشين من معصية الجبار، مع التكذيب والاستكبار.

٨ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

أيها المؤمنون: توبوا من كل ذنب توبة لا رجوع بعدها للمعاصي خالصة لوجه الله، عسى ربكم أن يغفر لكم السيئات، ويمحو الخطيئات، ويدخلكم الجنات التي أنهارها من تحت أشجارها، ونورها ملء قصورها في يوم القيامة الذي لا يخزي فيه الله نبيه ولا عباده الصالحين، ولا يفضحهم ولا يعذبهم، بل يسعدهم ويثيبهم ويعلي شأنهم، نورهم يسعى أمامهم، وفي أيمانهم يدعون ربهم بدوام هذا النور حتى يتم المرور على الصراط إلى دار الحبور، مع غفران الذنوب، وستر العيوب، ورضوان علام الغيوب؛ لأن الله على كل شيء قدير، غلب أمره على غيره، ونفذ حكمه بما أراد، لا يردّه راد.

٩ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾

أيها النبي: جاهد من أظهر الكفر وأعلنه، ومن كتمه وأبطنه، وأظهر الإسلام بالألسنة، جاهدهم باليد واللسان، والسيف والسنان، والقلم والبيان، واستعمل - أيها النبي - الشدة مع هؤلاء ليعز أمر الإسلام، ويرهب جانبه، ومسكن هؤلاء الفجار النار وبئس دار القرار.

١٠ ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾

شبَّه الله هؤلاء الكفار في مخالطتهم للأبرار مع عدم الانتفاع بذلك لكفرهم بالواحد القهار؛ مثل زوجة (نوح) وزوجة (لوط)، كانتا في عصمة عبدين صالحين ورسولين كريمين، فخانتاهما في الدين؛ حيث كانتا مكذبتين، فلم يدفع هذان الزوجان عن هاتين الزوجتين عذاب الله، وقيل: ادخلا النار مع من دخلها من الفجار. وفيه دليل على أن القرب من الصالحين بالأبدان لا ينفع إذا لم يكن هناك إيمان وطاعة لله وحده.

١١ ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

وشبَّه الله المؤمنين في مخالطتهم الكفار ومعاملتهم الفجار وأنها لا تضرهم؛ لأنهم آمنوا بربهم واتبعوا رسوله ﷺ مثل زوجة (فرعون) التي كانت في عصمة هذا الطاغية، لكنها لما آمنت بالله ما ضرَّها القرب من هذا الكافر، وقد دعت ربها بحسن جوار العزيز الغفار، مع الأبرار في تلك الدار، مع البعد عن عمل الأشرار ودار الفجار.

١٢ ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾

وشبَّه الله المؤمنين في صدقهم وعفافهم وصبرهم؛ بمريم البتول الطاهرة التي صانت عرضها، وحفظت فرجها، واتقت ربها، فعوضها الله؛ فنفخ جبريل في جيب قميصها، ووصلت النفخة إلى رحمها، فحملت بعيسى عبد الله ورسوله ﷺ، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وصدَّقت مريم بكلمات ربها ورسالاته، وعملت بشرعه، واتبعت هداه، وكانت عابدة مطيعة منقطعة إلى ربها، ومن ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه، فهي لما تركت الحرام رزقها الله بنبيٍّ إمام.

مكية

سورة الملك

ترتيبها ٦٧

آياتها ٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

تعالى الله عن الأنداد، وتنزّه عن الأضداد، وتقدّس عما سواه في الذات والأسماء والصفات، وتكاثر خيره، وعمّ بره على جميع خلقه، بيده ملك الدنيا والآخرة، وله السلطان المطلق، أمره نافذ، وقضاؤه ماضٍ، وحكمه فصل، لا يعجزه أمر ولا يتعاظمه شيء؛ لأنه قدير.

﴿٢﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

الذي خلق الموت والحياة، فأحيا من العدم، وأفنى الأمم، ليختبر الناس أيهم أخلص عملاً وأصوبه، فالإيمان امتحان الإنسان، فإما أن يطيع الرحمن، أو أن يتبع الشيطان، والله عزيز لا يعجزه شيء لا يغالب، عز فقهر، وحكم فقدر، وهو يغفر جميع الذنوب لمن تاب، ويتجاوز عن خطايا من أناب. وفيها ترغيب في الطاعة وزجر عن المعصية.

﴿٣﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾

وهو الذي خلق سبع سماوات شداد بناها بقوة، وزينها للناظرين، ورفعها بلا عمد، وجعل بعضها فوق بعض، ومن رحمته سوّاها وأحسن مبناها وجمّلها وأعلاها، لا ترى فيها اختلافًا ولا تباينًا، فأعد البصر وتأكد بتكرير النظر هل ترى فيها من شقوق أو صدوع؟ بل بناء محكم، وصنع منظم.

﴿٤﴾ ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾

ثم كرِّرْ النظر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر ذليلاً صاغرًا عن أن يرى نقصًا، عجز والله أن يبصر عيبًا، فصار مُتْعَبًا كليلاً، مُرْهَقًا ذليلاً.

﴿٥﴾ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾

ولقد جملنا السماء الدنيا بنجوم باهية، وكواكب زاهية، وصيّرناها شهبًا محرقة لمسترقي السمع من الشياطين، وتحفظ السماء من المرَدَة؛ ليبقى الوحي محفوظًا من النقص والزيادة، وهيأنا للشياطين وأتباعهم نارًا موقدة، وجحيمًا مؤصدة، في عمد ممددة .

﴿٦﴾ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

ولمن كفر بالله – وهو الذي خلقهم ورزقهم – عذاب دائم في جهنم، وساء معادهم وقبح مردهم، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها، ولا يزحزحون عنها.

﴿٧﴾ ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾

إذا طُرح الكفار في النار سمعوا لها شهيقًا وزفيرًا؛ لأنها تضطرم اضطراماً شديداً، أكل بعضها بعضًا، وغلت غليانًا شديدًا ذاب من حرِّها الحجر فكيف بالبشر.

﴿٨﴾ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾

تكاد النار تتمزق من شدة غيظها على الكفار، فهي تتوقد وتحترق، كلما طرح في النار جماعة من الكفار سألتهم الملائكة الموكلون بالعذاب، موبخين لهم: أما جاءكم في الدنيا رسول ينذركم هذا العذاب، ويحذركم هذا العقاب؟!

٩ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾

قال الكفار لخزنة النار: بلى قد جاءنا رسول من الله فحذرنا وأنذرنا، وبيّن لنا الحق من الباطل، لكننا كذبناه وحاربناه، وقلنا: ما نزّل الله على بشر من شيء، وما أوحى الله إلى أحد وحيًا، ما أنتم - أيها الرسل - إلا بعيدون عن الصواب، ضالون عن الحق واهمون.

١٠ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

وقالوا - مقرين بضلالهم معترفين بجرمهم -: لو كنا نسمع سماع قبول واستجابة، ونفكر تفكير فقه وإصابة ما كنا في أهل النار مستوجبين لغضب الجبار، فلم نسمع القول، ولم نفكر في المعنى.

١١ ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

فأقروا بالكفر واعترفوا بالذنب الذي استحقوا به غضب الرب، فبعدًا وهلاكًا لهم وخزيًا وخسرانًا لمن هذا حاله، وإلى النار مآله.

١٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

إن الذين يخافون الله فيعبدونه ولا يعصونه، ويطيعونه وهم لا يرونه، ويخلصون له وهم غائبون عن عيون الناس، ويخشون عذاب النار قبل معاينتها بالأبصار، فلهم العفو من الله عن الذنوب، والستر على الخطايا، والثواب العظيم والأجر الكريم في جنات النعيم.

١٣ ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

وسواء أخفيتم الأقوال أم أعلنتموها فهي سواء عند الله، فإنه يعلم السر وأخفى، فالجهر والعلانية عنده سواء؛ لأنه يعلم مضمرات الصدور، فكيف يخفى عليه ما ظهر من الأمور؟

١٤ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

ألا يعلم سبحانه الأقوال والأعمال خفيها وظاهرها، سرها وعلانيتها، وهو الذي لطف علمه حتى علم الدقيق، واطلع على الخفي، وأحاط بكل شيءٍ علمًا حتى علم ظاهره وباطنه، ولم يفته من علمه شيء.

١٥ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

والله وحده الذي صيّر لكم الأرض فراشًا ومهادًا للاستقرار والعمار، وبسطها وسوّاها للحياة والمعاش، وجعلها ذلولاً، فسيروا في نواحيها، واطلبوا الرزق في أطرافها، وتناولوا ما أباحه الله لكم من خيراتها، وليست دار مقر، إنما دار عبور وممر؛ فسوف تموتون ثم إلى الله تبعثون، وعنده تحاسبون، فأعدوا العدة وأصلحوا الزاد.

١٦ ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾

هل أمنتم - أيها الناس - الله - سبحانه - الذي هو في السماء مستوٍ على عرشه أن يغضب عليكم بمعاصيكم؛ فيخسف بكم الأرض ويزلزلها عليكم فيهلككم ويدمركم.

١٧ ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾

هل أمنتم الله الذي في السماء عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه أن يرسل عليكم ريحًا شديدة ترميكم بالحجارة؛ فإذا رأيتم العذاب وعاينتم العقاب علمتم صحة تحذير الله لكم، وتيقنتم صدق تخويفه لعباده على ألسنة رسله.

١٨ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

ولقد كذب بالرسل أقوام من الأمم قبل كفار مكة؛ كقوم نوح، وعاد، وثمود وغيرهم، فانظر كيف كانت نهايتهم؟ وكيف أنكرتُ عملهم بتدميرهم وإنزال أقسى العقوبات بهم؟ فصاروا لمن بعدهم عبرةً، وفي الدهر مثلاً.

١٩ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾

لماذا لا يتفكر الناس في خلق الطير وهي فوق رؤوسهم في السماء؟ تبسط أجنحتها عند الطيران، وتقبضها عند الوقوف، سابحة في الهواء، من الذي أمسكها من الوقوع وحفظها من السقوط إلا الله الذي برحمته عَمَّ خلقه برعايته ومنها الطير، إنه بصير بالخليقة في الخلق والتقدير والإبداع والتصوير.

٢٠ ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾

بل من هو الذي ينصركم في زعمكم إذا أراد الله بكم سوءًا؟ ومن هو حزبكم الذي يدافع عنكم، ويصرف عنكم الأذى غير الرحمن، لكن الكفار في زعمهم هذا في خديعة واغترار.

٢١ ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾

من هو الرزاق لكم غير الله إذا أمسك الله رزقه عنكم؟ غير أن الكفار مستمرون في الطغيان، دائبون في معصية الرحمن، مستكبرون عن قبول الحق، نافرون من سماع الصدق، لا سماع استجابة، ولا عمل إصابة.

٢٢ ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

أفمن يسير منكوسًا على وجهه رأسه أسفل ورجلاه أعلى لا يبصر طريقًا ولا يهتدي لسبيل، انقلبت عليه الأمور، هل هذا أهدى وأبصر ممن يمشي على طبيعته منتصب القامة، عارفًا طريقه، سالكًا السبيل الواضح في رشد وسداد، وهذا مثل الكافر والمؤمن في الغواية والهداية.

٢٣ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

قل لهؤلاء الكفار: الله وحده الذي أنشأكم من العدم، وغذّاكم بالنعم، ومنحكم السمع لسماع الأصوات، والبصر لمشاهدة المرئيات، والقلوب لتدبر المعلومات، فما أقل شكركم على نعم ربكم، قابلتم الإحسان بالكفران، والامتنان بالنكران.

٢٤ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

والله وحده الذي خلقكم من العدم، وبثكم في الأرض، وإليه وحده تعودون؛ ليوفي كل عامل ما عمل، فمنه البدء وإليه النهاية، وأعاد وتكفل برزق العباد، وإليه المعاد.

٢٥ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

ويقول الكفار: متى البعث والنشور؟ ومتى خروجنا من القبور؟ تكذيبًا واستبعادًا، أخبرونا بهذا الأجل إن كنتم صادقين فيما تدّعون، مصيبين فيما تزعمون.

٢٦ ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

قل لهم - أيها النبي -: إن موعد قيام الساعة لا يعلمه إلا الله، قد اختص الله بعلمه لم يطلع عليه أحدًا من خلقه، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلاً، فليست مهمتي الإخبار بل الإنذار، فما جئتُ لأخبركم متى قيام الساعة، لكن أتيت أحذركم أهوالها.

٢٧ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾

فلما رأى الكفار عذاب الملك الجبار قد اقترب منهم وعاينوه، ودنا منهم وأبصروهم، شاهت وجوههم، وقبحت مناظرهم، وعلاهم الذل والصغار والكآبة والغبار، وقيل لهم - تقريعًا -: هذا ما كنتم تستعجلون من العذاب، وتستبعدونه من العقاب، نزل بكم يوم الحساب.

٢٨ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

قل - أيها النبي - لهؤلاء الكفار: أخبروني إن توفاني ربي وتوفى من معي من المؤمنين، أو رحمنا فأخَّر موتنا إلى أجل معلوم، وصرف عنا عذابه وردَّ عنا عقابه، فمن يحميكم أنتم من أخذ الله، ومن يمنعكم من غضب الله إذا أرادكم بعذاب موجع وعقاب فظيع.

﴿٢٩﴾ ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

قل للكفار: ربي الله الذي عمت رحمته، وعظم حلمه، صدقنا قوله واتبعنا تنزيله، واعتمدنا عليه، وفوضنا أمرنا إليه، فستعلمون - أيها المكذبون - هل نحن أو أنتم في ضلال ظاهر، وغواية عظيمة، وانحراف عن الحق كبير؟

﴿٣٠﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۢ﴾

قل - أيها النبي - للكفار: أخبروني لو اختفى ماؤكم في قعر الأرض، ورسب في باطنها ولم تقدروا على إخراجه، فمن غير الواحد الأحد يعوضكم بماء عذب زلال يجري على ظاهر الأرض تبصرونه بالعيون في الآبار والأنهار والعيون؟!

مكية

آياتها	سورة القلم	ترتيبها
٥٢		٦٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾

(نون)، الله أعلم بمراده به، مع العلم أن له معاني جليلة ومقاصد نبيلة، وأقسم قسمًا بالقلم الذي يكتب به الملائكة والبشر، فإن القلم جليل القدر، عظيم النفع، شريف المحل، وأقسم بما يكتبون به من أخبار نافعة، وأحكام مفيدة، وعلوم مباركة، وآثار خالدة.

﴿٢﴾ ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾

ما أنت - يا محمد - بما أنعم الله عليك به من الرسالة بذاهب العقل، أو طائش الفكر، أو فاقد الرأي، بل أنت المعصوم الملهم، والمحفوظ المسدد، تام الإدراك، كامل الرشد على هداية ربانية وعناية إلهية .

﴿٣﴾ ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾

وإن لك عند الله أجرًا عظيمًا، وثوابًا كريمًا، على تبليغك الرسالة، وهدايتك للناس من الضلالة، أجرًا غير منقوص وغير مقطوع.

﴿٤﴾ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

ووالله إنك - يا محمد - على خُلُقٍ عظيم من كريم الشمائل، وجميل الفضائل، وأشرف المناقب، وأجل المواهب، فهو ﷺ مَضْرِب المثل في كل خُلُق نبيل وكل نهج جليل، فقد كان خُلُقه القرآن، يتمثل أوامره وينتهي عن نواهيه.

﴿٥﴾ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾

فسوف يظهر لك - أيها النبي - ويظهر لأعدائك الكفار أيكم أهدى سبيلاً، وأقوم طريقًا، وأحسن نهجًا، إذا بدت عواقب الأمور وخواتم الأحداث.

﴿٦﴾ ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾

وسوف تعلم - يا محمد - ويعلم أعداؤكم أيكم الخاسر في دينه، المصاب في عقله، حينها يُعرف المفتون ويبين المجنون.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾

إن الله يعلم الشقي من التقي، والضال من المهتدي؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء، علم ما حوته الضمائر، واطلع على ما أكنَّته السرائر.

﴿٨﴾ ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾

فاستمر على هداك واثبت على دينك، فأنت على الحق وهم على الباطل، فلا تطعهم في آرائهم، ولا تتبع أهواءهم.

﴿٩﴾ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾

تمنوا أن تلاينهم بترك شيء من دينك، وتصانعهم بموافقتهم على بعض ما يرون، وهم أيضًا يلينون لك ببعض الموافقة لتلتقي معهم على أمر موافق؛ لأنهم على غير بيّنة ولا برهان.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾

ولا تطع - أيها النبي - كل فاجر كثير الأيمان بالزور والبهتان، كذّاب هانت عليه نفسه، حقيرٍ لا مروءة له.

﴿١١﴾ ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾

مغتاب للناس يلمز الأعراض، ويطلب المعايب، ينقل الكلام البين الآثام؛ لزرع الفتنة والإفساد بينهم، فهو فاسد في نفسه، مفسدٌ لغيره، حريص على قطع الأواصر والتفريق بين المؤمنين.

﴿١٢﴾ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾

بخيل بالخير عن غيره من مال وجاه وخلق، يعتدي على حقوق الله وحقوق خلقه، لا تردعه تقوى، كثير الآثام من خصام، وأكل حرام، وأذية الأنام.

﴿١٣﴾ ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾

شديد في كفره، قوي في مكره، ممعن في فجوره، فاحش في أفعاله، لئيم في خصاله، غير منسوب إلى أب، فلا مروءة، ولا حسب، ولا شهامة، ولا أدب.

﴿١٤﴾ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾

لأجل أنه صاحب مال وأولاد، يمعن في الفساد والكفر برب العباد، وكان الأولى به أن يشكر ولا يكفر، ويتواضع ولا يتكبر.

﴿١٥﴾ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

إذا قُرئ عليه القرآن قال: هذه أساطير، وخرافات الأولين القدماء، ولا قيمة لها.

﴿١٦﴾ ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾

سنجعل على أنفه علامة من الخزي والعار والملامة، يفتضح بها أمام الناس.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾

إنا اختبرنا هؤلاء الكفار، بالجوع والقحط ونقص الثمار، كما اختبرنا أصحاب البستان الذين حلفوا ليقطعن ثماره في الصباح الباكر، وعلى حين غفلة من المساكين؛ حتى لا يعطوهم شيئًا.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾

أقسموا ولم يستثنوا في الأيمان، وجزموا ولم يجعلوا ذلك تحت مشيئة الرحمن.

﴿١٩﴾ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾

فأنزل الله على الحديقة حريقًا وهم مستغرقون في نومهم، فأُخِذت على غفلة منهم جزاء قصدهم قطفها على حين غفلة من الفقراء.

﴿٢٠﴾ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾

فأصبحت بعد الحريق مثل الصريم أي القطعة من الليل البهيم، هامدة سوداء، لم تبق فيها شجرة خضراء.

﴿٢١﴾ ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾

فصاح بعضهم ببعض وقت الصباح، ليبادروا النهار قبل أن يراهم مسكين، أو يحس بهم فقير، وهذا شأن البخيل يستتر عن الناس.

﴿٢٢﴾ ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾

وطلب بعضهم من بعض أن يبكروا إلى بستانهم لحصده قبل أن يطرقهم صاحب حاجة بخلاً منهم بثمار الزروع، فعجلوا بالإبكار لقطع الثمار.

﴿٢٣﴾ ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾

فأسرعوا إلى بستانهم يُسِرون حديثهم لئلا يسمعهم أحد من أهل البلد، وهذا شأن الشحيح، يخفي شخصه وصوته؛ بخلاً بماله وطعامه.

﴿٢٤﴾ ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾

اتفقوا على منع أيِّ مسكين من دخول البستان، فقد أجمعوا على ذلك فبكَّروا وأخفوا أشخاصهم بالظلام، وأسروا الكلام، وعجَّلوا بالصرام.

﴿٢٥﴾ ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾

وذهبوا مبكرين مع حقدهم على المساكين، وقصدهم السيء من البخل على المحتاجين، واعتقدوا بقدرتهم على تنفيذ إرادتهم في منع الفقراء من ضيافتهم.

﴿٢٦﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾

فلما رأوا الحديقة في حريقة مسودة هامدة، قالوا: ربما أخطأنا طريقنا فهذه ليست حديقتنا بعدما تغيرت معالمها.

﴿٢٧﴾ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾

فلما عرفوا أنها حديقتهم قالوا: بل حُرِمنا خيرها بقصدنا السيء في منع المساكين من ثمارها، وهذا جزاؤنا حل بنا.

﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾

قال أعدلهم وخيرُهم: ألم أنصحكم بالاستثناء في اليمين، وردّ المشيئة لربِّ العالمين.

﴿٢٩﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

فقالوا - بعدما راجعوا أنفسهم وندموا على فعلهم -: تنـزَّه الله عن ظلمنا فيما أصابنا، بل نحن ظلمنا أنفسنا بسوء فعلنا بترك الاستثناء ومنع الفقراء، والبخل بالعطاء.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾

فرجع بعضهم على بعض بالملامة بعد الأسف والندامة، فتحسروا من سوء صنيعهم، وقبح مقصدهم في البخل.

﴿٣١﴾ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾

قالوا: يا ويلنا إنا تجاوزنا الحد في معصيتنا لربنا بمنعنا الفقراء من الصدقة وما أصابنا إلا بذنوبنا. والطغيان منع الحق أو مجاوزة الحد.

﴿٣٢﴾ ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾

عسى ربنا أن يعوضنا أفضل من حديقتنا بسبب توبتنا من خطيئتنا، إنا إلى الله وحده راغبون، نطمع في ثوابه، ونخاف من عقابه.

﴿٣٣﴾ ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

مثل عقابنا لأهل الحديقة نعاقب في الدنيا كُلَّ مَنْ مَالَ عن الطريقة، فكل من بخل بالنعم عاقبناه بأنواع النقم، ولعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون هذه الحقيقة؛ لتركوا كل سبب يوجب العقاب، ولكن الجهل يورد صاحبه المهالك.

﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

إن للذين اتقوا ربهم بفعل ما أمر واجتناب ما عنه زجر، جنات فيها نعيم مقيم، وأجر عظيم، في جوار رب كريم.

﴿٣٥﴾ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾

أفنجعل من أطاع ربه وانقاد لأمره كمن كفر به وتجاوز حدوده، هذا لا يكون، فالمسلم مأجور مشكور، والمجرم مخذول مدحور.

﴿٣٦﴾ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

ما لكم في حكمكم الجائر تساوون بينهم في الفضل والثواب، وهم ليسوا سواء في عملهم.

﴿٣٧﴾ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾

أم عندكم كتاب منزَّل من الله تقرؤون فيه هذا الحكم الجائر الذي يساوي بين التقي والشقي، فأنتم تدرسون فيه هذا الحكم، فلا العقل وافقتم، ولا النقل اتبعتم.

﴿٣٨﴾ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾

إن لكم إذًا في هذا الكتاب ما تشتهون، فهو مع أهوائكم في سوء اختياركم، والصحيح أن هذا ليس موجودًا، فلا كتاب لديكم ولا دليل يؤيدكم.

﴿٣٩﴾ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾

أم لكم عهود علينا موثقة مثبتة في أنه سيحصل لكم ما تحبون وتشتهون، بل هذه أمانٍ لا تُحَقَّق.

﴿٤٠﴾ ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾

سل - أيها النبي - الكفار أيهم بهذا الحكم كفيل وضامن أن الأمر يحصل كما أرادوا؟ وليس لهم على الزعم كفيل، وعلى الدعوى دليل.

﴿٤١﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾

أم لهم آلهة تضمن لهم ما ادعوه، وتعينهم على ما طلبوه، فليحضروهم إن كانوا صادقين فيما قالوه.

﴿٤٢﴾ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

يوم القيامة يشتد الخطب، ويعظم الكرب، ويأت الله -تعالى- لفصل القضاء بين الناس، ويكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ويأمر الناس بالسجود في العرصات، فالمؤمنون الذين سجدوا له في الدنيا يستطيعون السجود في الآخرة، والكفار والمنافقون يصعب عليهم السجود، ويصبح ظهر أحدهم طبقًا واحدًا لا ينحني؛ لأنهم رفضوا السجود في الدنيا.

﴿٤٣﴾ ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾

منكسرة أبصارهم من الخوف تغشاهم ذلة شديدة، وقد كانوا في الدنيا يُؤمرون بالسجود لله في الصلاة مستطيعين أصحاء، فلا يسجدون؛ كبرًا وعتوًا، فعوقبوا بحرمانهم السجود يوم القيامة.

﴿٤٤﴾ ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾

فذرني - أيها النبي - والمكذبين بهذا القرآن، فسوف أنتقم منهم وأعذبهم، وسنمدهم بالنعم ونصب عليهم الدنيا ونسوقهم إلى الهلاك من حيث لا يشعرون بالخطر ولا يدرون بسبب الهلاك، فيؤخذون على غرة.

﴿٤٥﴾ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾

وأمهلهم ليزدادوا إثمًا، وأُطيل أعمارهم في الدنيا، فينغمسون في لهوهم، إن كيدي بأعدائي قوي شديد؛ لأنه لا يظهر للعاصي حتى يقع فيه.

﴿٤٦﴾ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾

هل تسأل - أيها النبي - الكفار أجرة دنيوية على تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله؟ فهم مثقلون بغرامة الأجرة، قد كلَّفتهم بهذه الأجرة حملاً ثقيلاً، والصحيح: أنك تدعوهم لوجه الله وأجرك على الله، فلماذا يتبرمون من دعوتك؟!

﴿٤٧﴾ ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾

هل اطلعوا على علم الغيب فهم يكتبون عن علم ويحكمون عن عدل حينما يرون أنهم أفضل من أهل الإيمان؟ وهم في الحقيقة جاهلون عبدة أوثان، لا علم عندهم ولا برهان.

﴿٤٨﴾ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾

فاصبر - أيها النبي - لما حكم ربك وقدّر من إمهاله لمن كفر وتأخير النصر والظفر، ولا تكن كيونس ﷺ لما استعجل أمر ربه وغضب على قومه وهرب منهم، فالتقمه الحوت، فدعا ربَّه بعد أن امتلأ غمًا وهمًا وكربًا، فنادى بكلمة الفرج مستغفرًا تائبًا فنجاه ربه.

﴿٤٩﴾ ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾

لولا أن الله أنقذه بلطفه وأدركه برعايته بعدما أعلن توبته؛ لطرح من بطن الحوت في البيداء المهلكة بلا غذاء، ولا ماء، ولا كساء، مع الملامة على تقصيره.

﴿٥٠﴾ ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

فاصطفاه الله برسالته إلى قومه، وأعاده إلى وطنه داعيةً إلى سبيله؛ صالحًا مصلحًا حسن منه الحال والفعال والمقال.

﴿٥١﴾ ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾

ولقد أوشك الكفار أن يسقطوك بالأبصار؛ عداوةً لك وبغضًا لما سمعوا كلام الواحد القهار، ويتهمونك بالجنون؛ ليقدحوا في شخصك الكريم، فيبطلوا دعوتك إلى الصراط المستقيم.

﴿٥٢﴾ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾

وما القرآن إلا موعظةٌ للبشر، وتذكير لمن ادكر، ونصائح لمن اعتبر، فمن شاء آمن، ومن شاء كفر.

مكية

سورة الحاقة

آياتها ٥٢ | ترتيبها ٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿الْحَاقَّةُ﴾

الحاقة هي القيامة التي يحق فيها الحق ويبطل الباطل، ويتحقق فيها الوعد والوعيد، والثواب والعقاب.

﴿٢﴾ ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾

ما القيامة الواقعة حقًا في صفتها وأهوالها وأخطارها وأحوالها. والاستفهام للتفخيم، والإبهام للتعظيم.

﴿٣﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾

وما أعلمك - أيها النبي - بحقيقة القيامة، فهي فوق الوصف وأعظم من التصوّر، خبرها هائل، ونبؤها عظيم.

﴿٤﴾ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾

كذبت ثمود، قوم صالح، وعاد، قوم هود بالقيامة التي تقرع القلوب بهولها، فقد سبق هؤلاء الأقوام قومك في التكذيب، فاصبر كما صبر الرسل من قبلك.

﴿٥﴾ ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾

فأما ثمود فأهلكهم الله بصيحة خلعت قلوبهم، وأزهقت أرواحهم، ودمّرت مساكنهم من شدتها.

٦ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾

وأما عاد فأهلكهم الله بريح شديدة قوية، تدمر كل شيء بأمر الله، لها صوت عظيم، وسرعة هائلة.

٧ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾

سلّطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة بلا فتور ولا انقطاع، فأهلكتهم فصارت جثثهم بعد الموت كأصول النخل المقطوع المطروح على وجه الأرض.

٨ ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾

فهل تبصر لهم بقية بعد الهلاك، أو نفسًا حية بعد الدمار، بل قطع دابرهم ولم يُبق منهم أحدا.

٩ ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾

وأتى فرعون ومن قبله من الأمم المكذبة: قوم لوط بالفعلة الشنيعة والخطيئة الفظيعة من الكفر بالله تعالى والخطايا والسيئات.

١٠ ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾

فكل أمة عصت رسولها فكذبوه وآذوه فأخذهم الله أخذةً قويةً، وعاقبهم عقوبةً شديدة.

١١ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾

إنا لما زاد الطوفان وتجاوز حده في عهد «نوح» حملنا أجدادكم في السفينة مع نوح، وأنقذناكم من الغرق.

١٢ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾

لنجعل تلك الواقعة التي أهلكنا فيها الكافرين ونجينا المسلمين عبرةً وعظةً، وتحفظها كل أُذن حافظة لما يقال، وتعقل ما تسمع .

١٣ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾

فإذا نفخ الملك في القرن النفخة الأولى عند هلاك العالم وهي نفخة واحدة تفني الأحياء، وتتغير بسببها الأرض والسماء.

١٤ ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾

واقتلعت الأرض والجبال، ثم رفعتا فزلزلتا ودكتا وصارت هباءً في الهواء بهزة واحدة قوية هائلة.

١٥ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾

حينها تقوم القيامة وتقع الساعة التي هي أعظم حدث سيعرفه الإنسان في الأكوان.

١٦ ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾

وتصدّعت السماء وتشققت، فإذا هي بعد القوة والسمك مسترخية لينة ضعيفة البناء والتماسك.

١٧ ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾

والملائكة على أطراف السماء واقفون على جوانبها، ويحمل عرش الله -عز وجل- ثمانية من الملائكة العظام، لا يعلم قوتهم إلا الملك العلاّم.

١٨ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾

حينها تُعرضون على الله للحساب من ثواب وعقاب، لا يخفى على الله من أسراركم شيء، قد علم السرائر، واطلع على ما في الضمائر.

١٩ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾

فأما من أعطاه الله كتابه بيمينه لإيمانه ويقينه فيا قرة عينه وقتها، يقول من الفرح والسرور: خذوا طالعوا كتابي، إني أيقنت بحسابي، فأحسنت عملي ليحسن الله ثوابي.

٢٠ ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾

إني آمنت بلقاء ربي للحساب، وتيقنت بالبعث بعد الموت، فأخذت للعرض عدته.

﴿٢١﴾ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾

فهو في عيشة هنيئة، حياة رضية، من بهجة النفس وقرة العين، نعيم دائم، ومقام كريم.

﴿٢٢﴾ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾

في جنة مرتفعة المكان، فيها كل ما يشتهيه الإنسان في جوار الرحمن، وفي سرور ورضوان وروح وريحان.

﴿٢٣﴾ ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

ثمارها قريبة دانية، وأغصانها لينةٌ متدلية، تصل إلى أهل الجنة في سهولة ويسر.

﴿٢٤﴾ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾

كلوا واشربوا بلا منٍّ وأذى، ولا تكدير ولا تنغيص، مع الأمن والسلام، في أحسن مقام، وأطيب إكرام، وأجزل إنعام؛ جزاءً لأعمالكم الصالحة في أيام الدنيا السالفة.

﴿٢٥﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾

وأما من أُعطي كتابه بشماله لسوء أعماله، وقبح أفعاله فينادي من التحسُّر: ليتني لم أُعطَ كتابي لسوء حسابي.

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾

ليتني لم أعلم بجزائي هذا؛ لأنه عذاب أليم، وعقاب فظيع على سوء العمل.

﴿٢٧﴾ ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾

يا ليت الموت الذي ذقته كان نهاية أمري، ولم أُبعث من قبري، ولم أقف في حشري.

﴿٢٨﴾ ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾

ما نفعني مالي الذي جمعته وللأزمات ادخرته، وقد خزنته وخدمته، فخذلني اليوم.

﴿٢٩﴾ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾

ذهبت حجتي ولم يعد لي حجة أحتج بها، وفُقِد جاهي وسلطاني وجندي وأعواني، وخذلني إخواني.

﴿٣٠﴾ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾

يقول الجبار - سبحانه - لخزنة النار: خذوا هذا المجرم العنيد والفاجر المريد، فاجمعوا يديه إلى عنقه مغلولاً، وألقوه في جهنم مدحورًا مخذولاً.

﴿٣١﴾ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾

ثم أدخلوه النار يصلى حرها، ويذوق آلامها، ويقاسي نكالها، ويعاني أغلالها.

﴿٣٢﴾ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾

ثم أدخلوا في جسمه سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعًا تدخل مع فمه وتخرج مع دبره، وهذه غاية العقوبة، ونهاية العذاب.

﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾

إنه كان لا يصدق بألوهية الله، ولا يذعن لعبوديته، ولا يعترف بوحدانيته، والله المستحق للعبادة عظيم الذات والصفات.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾

ولا يحث غيره على إطعام المساكين والمحتاجين، فهو بخيل ويأمر الناس بالبخل.

﴿٣٥﴾ ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾

فليس له يوم القيامة قريب ينفعه، ولا ولي يشفع له، ولا ناصر يدافع عنه.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾

ولا طعام له إلا من صديد أهل النار، وقيح الفجار، ونتن الكفار.

﴿٣٧﴾ ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾

لا يأكل هذا الطعام إلا من أصرَّ على الآثام، ولم يتب من الإجرام، وكفر بالإسلام.

﴿٣٨﴾ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾

فلا أقسم بما تبصرون من المرئيات، وتشاهدونه من المخلوقات.

﴿٣٩﴾ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾

وأقسم بما لا تبصرونه من الكائنات، وما غاب عنكم من سائر الموجودات.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾

إن القرآن العظيم يتلوه رسول كريم، صادق في قوله، بار في فعله، شريف في فضائله.

﴿٤١﴾ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾

وما هذا القرآن بقول شاعر كما تزعمون، وتصديقكم بالحق قليل، فما أقل إيمانكم وما أكثر كفركم.

﴿٤٢﴾ ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

وليس القرآن بسجع كهان، بل هو كلام الرحمن، قليلاً ما يكون عندكم تفكر، وتأمل الفرق بين القرآن وسجع الكهان.

﴿٤٣﴾ ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

ولكن القرآن كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب محمد؛ ليكون من المنذرين.

﴿٤٤﴾ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾

ولو ادعى علينا محمد شيئًا لم نقله، ونسب إلينا كلامًا لم نتكلم به - وحاشاه ﷺ - وهذا تنزلٌ عقلي في الجدل، وافتراض في النظر.

﴿٤٥﴾ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾

لانتقمنا منه وأخذنا منه باليمين، وهذا وعيد شديد، وترهيب بعذاب رهيب، لو حصل أن تقوَّل علينا محمد ﷺ وحاشاه أن يفعل.

﴿٤٦﴾ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾

ثم لقطعنا منه نياط قلبه الذي هو مصدر الوعي والحياة، فلا يعيش بعده، فالحياة والموت بيد الله تعالى.

﴿٤٧﴾ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾

فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عقابنا عنه ولا يمنعه منَّا، فلا يحول بين الله وعباده أحدٌ من خلقه.

﴿٤٨﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾

وإن هذا القرآن لعظةٌ عظيمةٌ لمن اتقى الله وخافه، وامتثل أمره، واجتنب نهيه.

﴿٤٩﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾

وإنا لنعلم أن منكم من يكذّب بهذا القرآن بعد سطوع بيانه، وظهور برهانه، وجلالة سلطانه.

﴿٥٠﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

وإن التكذيب بالقرآن لندامة على الكفار عبدة الأوثان حينما يدخلون النيران، ويرون المؤمنين في الجنان.

﴿٥١﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾

وإن القرآن لحق ثابت، ويقين لا شك فيه، منزَّل بالحق، موحى إلى محمد ﷺ بالصدق.

﴿٥٢﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾

فنزِّه الله -عز وجل- عما لا يليق به فما نسبه إليه أعداؤه أو كذبوا بكتابه أو رسوله، فإنه عظيم -عز وجل- في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالتسبيح نفي للنقص، والتعظيم إثبات للكمال.

مكية

سورة المعارج

ترتيبها ٧٠

آياتها ٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾

دعا داعٍ من الكفار على نفسه وقومه بعذاب الجبار وهو واقع بهم في النار، فلماذا يستعجلونه في هذه الدار؟!!

﴿٢﴾ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾

وهذا العذاب الشديد هو للكفار بالوعد والوعيد، فليس لهذا العذاب مانع يمنعه من الله، ولا راد يرده من الواحد الأحد.

﴿٣﴾ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾

والعذاب من الله -جل جلاله- ذي العلو والجلالة، وهذا دليل على عظيم قهره، وعلو قدره، وقوة أمره.

﴿٤﴾ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

تصعد الملائكة وجبريل إليه -سبحانه- في يوم قدره خمسون ألف سنة من سني الدنيا، وهو يوم القيامة الذي هو على المؤمن مثل الصلاة المكتوبة.

﴿٥﴾ ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾

فاصبر - أيها النبي - على أذى الكفار صبرًا لا جزع فيه من الأذى، ولا تبرمًا، ولا شكوى.

﴿٦﴾ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾

إن الكفار يستبعدون عذاب يوم الحساب، فهم يرونه غير واقع، فلا يؤمنون به.

﴿٧﴾ ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾

ونحن نرى يوم الحساب واقعًا قريبًا لا محالة كائنًا لا شك فيه، قد قرب حصوله، وأوشك وقوعه.

﴿٨﴾ ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾

إذا قامت القيامة تكون السماء سائلة مثل حثالة الزيت ذابت من الحر، وسالت من الهول.

﴿٩﴾ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾

وحينها تصبح الجبال كالصوف المنفوش الذي هبت به الريح فانتشر مثل الهباء في الهواء.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾

ويوم القيامة لا يسأل القريب عن قريبه، ولا يعتني بشأن غيره، كلٌّ مشغول بنفسه، دهاه ما أذهله عن كل أحد.

﴿١١﴾ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾

يرونهم بالأبصار ويعرفونهم بالقلوب، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن ينفع أحدًا، ذهبت المعرفة، وبطلت القرابة، ويتمنى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب القيامة بأبنائه، وهم أحبُّ الناس إليه، لكن هول الكرب ذهب بالحب، ولكن هيهات ذلك.

﴿١٢﴾ ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾

ويتمنى الكافر لو يفتدي من العذاب بزوجته بعد المودة والرحمة والمحبة، لكن الخوف أنساه، ويريد لو يفتدي بأخيه بعد رابطة القربى.

﴿١٣﴾ ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ﴾

ويتمنى الكافر لو يفتدي من العذاب بعشيرته التي تضمه، وقبيلته التي ينتمي إليها، فقد ضاع الحسب والنسب.

﴿١٤﴾ ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾

ويتمنى أن يفتدي من العذاب بكل ما في الأرض من الناس وغيرهم حتى ينجو من العذاب، فالمهم عنده نفسه فحسب.

﴿١٥﴾ ﴿كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾

ليس الأمر كما تمناه، فلا بد له من ورود النار التي تلتهب من شدة حرِّها، وتضطرم بأهلها.

﴿١٦﴾ ﴿نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ﴾

ومن شدة حرِّها تنزع جلدة الوجه والرأس، وتشوي أطراف البدن، حتى يصير الجسم كالفحم.

﴿١٧﴾ ﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾

تنادي من أعرض عن الإيمان، وطاعة الرحمن، واتبع الشيطان، وانغمس في دنياه وهواه.

﴿١٨﴾ ﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ﴾

جمع المال ومنع حق الله فيه، وصار خازنًا وخادمًا له، صرف في تحصيله الأوقات، واشتغل به عن الطاعات.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

إن الإنسان جُبِل على الجشع، وطُبع على الطمع، فهو شديد الحرص، قوي التعلق بالدنيا.

﴿٢٠﴾ ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا﴾

إذا أصابه المكروه كثُر جزعه، وإذا مسَّه البؤس اشتد أسفه، فلا يصبر على العسر، ولا يحتمل الضُّر.

﴿٢١﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾

وإذا مسَّه الخير منعه عن غيره، يمسك معروفه، ويمنع إحسانه، فمن طبيعة الإنسان الطمع فيما لم ينل، والبخل بما سُئل.

﴿٢٢﴾ ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾

إلا من أقام الصلوات وحافظ على الأوقات، فالصلاة تعينه على الجود والصبر والقناعة.

﴿٢٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾

وهم مستمرون على إقام الصلاة لا يشغلهم عنها شاغل، معلقةٌ قلوبهم بالمساجد، جُعلت الصلاة قرة عيونهم.

﴿٢٤﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾

وفي أموالهم نصيب معروف، وهي الزكاة المفروضة يؤدونها بطيبة نفسٍ وامتثال أمر.

﴿٢٥﴾ ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾

يعطونها من سألها ومن تعفف عنها، ومن طمع ومن قنع، فخيرهم مبذول لباغيه والمتجافي عنه.

﴿٢٦﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾

والذين يصدقون بيوم النشور فيعملون بالمأمور، ويتركون المحذور، ويستعدون له بعمل مبرور.

﴿٢٧﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾

والذين هم من عذاب الله خائفون لا يأمنون مكر الله، ولا يستهينون بعقابه، قد عملوا الصالحات، واجتنبوا المنهيات؛ طلبًا للنجاة.

﴿٢٨﴾ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ﴾

إن عذاب الله لا يأمنه مؤمن، بل تجده حذرًا خائفًا وجلاً؛ لأنه صدّق بوقوعه، أما الفاجر فقد أَمِنَ العذاب فأساء العمل.

﴿٢٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾

والذين يحفظون فروجهم من الحرام، ويصونونها عن الفاحشة؛ خوفًا من ربهم.

﴿٣٠﴾ ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾

إلا على أزواجهم وإمائهم، فالله لا يؤاخذهم على ذلك، بل أباحه لهم، فهم يحلون ما أحلَّ الله ويحرِّمون ما حرَّم.

﴿٣١﴾ ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾

فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات فقد اعتدى في المحرمات، وتجاوز الحد في المنهيات.

﴿٣٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾

والذين يحفظون ما ائتمنهم الله على أدائه من حقوق لله ولخلقه، ويحفظون العهود فلا ينقضونها، والعقود فلا ينكثونها، بل يوفون بها.

﴿٣٣﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾

والذين يؤدون شهاداتهم بالصدق، ويقولونها بالحق بلا تغيير ولا كتمان ولا تأثر فيها، محاباة للأقرباء أو شنآن للأعداء.

﴿٣٤﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾

والذين يحافظون على الصلاة كما شُرعت فلا يخلّون بواجباتها ولا يضيِّعون أوقاتها، بل يؤدونها على أكمل وجه صفةً ووقتًا.

﴿٣٥﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾

أولئك الأبرار - الذين اتصفوا بتلك الأوصاف الجميلة - خالدون في جنات النعيم مع الفوز العظيم، والمقام الكريم.

﴿٣٦﴾ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾

فما للكفار أمامك - يا محمد - قد أقبلوا مسرعين مدّوا إليك أعناقهم، وقصدوك بأبصارهم ذاهلين متعجبين؛ علمًا أن الذي جئت به لا يدعو إلى العجب؛ لأنه حق ظاهر.

﴿٣٧﴾ ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾

يجتمعون عن يمنيك وعن شمالك جماعات متفرقة يتساءلون متعجبين مما جئت به؛ لأنه خالف ما عليه آباؤهم من شرك.

﴿٣٨﴾ ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾

هل يطمع كل واحد من هؤلاء الكفرة الفجرة أن يدخله الله جنة النعيم وقد خالف الصراط المستقيم، وكذَّب القرآن العظيم، وحارب النبي الكريم؟!

﴿٣٩﴾ ﴿كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾

ليس الأمر كما يطمعون، فالجنة عليهم حرام، وقد خلقناهم من ماء حقير مهين كغيرهم من البشر، فلا يؤهلهم ذلك لدخول الجنة، إلا من عمل عملاً صالحًا، أما مجرد الأصل فإن أصلهم كسواهم لا مزية لهم.

﴿٤٠﴾ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾

يقسم الله بنفسه -جل جلاله- وهو الذي خلق مشارق الشمس والقمر، والنجوم والكواكب، ومغاربها، وفيها آيةٌ على بديع صنعه، وعظيم خلقه على أنه -سبحانه- قادر على ما أراد لا يعجزه أمر.

﴿٤١﴾ ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾

أقسم - سبحانه - على أنه قادر على أن يستبدل بالكفار قومًا أفضل منهم وأطوع، وأكرم على الله من هؤلاء المشركين الذين كفروا به، وكذّبوا رسوله ﷺ، وليس هناك أحد يفوت الله أو يعجزه أو يخرج على حكمه أو يتحصن من قضائه إذا أراد به شيئًا.

﴿٤٢﴾ ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾

فاترك - أيها النبي - الكفار يخوضوا في الباطل، ويلعبوا في الدنيا، فأقوالهم لاهية، وأفعالهم عابثة، وأعمارهم ضائعة؛ حتى يلاقوا يوم الحساب؛ ليذوقوا فيه العذاب، فجزاؤهم ليس في الدنيا وإنما في الآخرة.

﴿٤٣﴾ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾

ذاك اليوم يخرجون فيه من القبور مسرعين كسرعتهم في الدنيا إلى آلهتهم التي عبدوها من دون الله، يهرولون إليها ليجدوا هناك جزاءَهم المنتظر، وعقابهم المعد.

﴿٤٤﴾ ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

ذلَّت من الكفار الأبصار، وعلاها المهانة والعار، لما عاينوا النار، ذلك يوم القيامة الذي وعُدوا به في الدنيا، فاستهزؤوا وكذبوا، فالآن يرونه رأي العين.

مكية

سورة نوح

ترتيبها ٧١

آياتها ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

يخبر الله - سبحانه - أنه أرسل نوحًا ﷺ برسالة التوحيد إلى قومه، وأمره أن يُحَذِّر قومه عذاب الله المؤلم إن لم يؤمنوا بالله ويتبعوا نوحًا.

﴿٢﴾ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

وقال لهم نوح: يا قوم إني نذير لكم من عذاب شديد، لا لبس في دعوتي بل هي واضحةٌ مفهومة.

﴿٣﴾ ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾

أن وحِّدوا الله، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، واتبعوني فيما أدعوكم إليه، وهذا منهج الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ، وهما عمودا الفلاح والنجاة.

﴿٤﴾ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

يصفح عن ذنوبكم، ويتجاوز عن خطاياكم، ويمد في أعماركم، ويبارك في أوقاتكم، ويؤخر الأجل إلى وقت معين في علم الله؛ لأن الأجل إذا نزل فلا تأخير فيه، لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان وطاعة الرحمن، ولكن الجهل أوردكم موارد العصيان.

﴿٥﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾

قال نوح: يا رب إني اجتهدتُ في دعوة قومي إلى الإيمان طيلة الليل والنهار، وهذا دليل على شدة الحرص، واستفراغ الوقت في الدعوة .

﴿٦﴾ ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾

فما زادتهم دعوتي إياهم إلى الإيمان إلا هروبًا وإعراضًا، وكان الواجب عليهم الاستجابة والقبول، ولكنهم رفضوا الحق.

﴿٧﴾ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾

وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان بالرحمن ليغفر لهم آثار الذنوب والعصيان جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا الحق زيادة في الإعراض، وغطَّوا وجوههم بثيابهم لئلا يروا نوحًا، واستمروا على الكفر، وأقاموا على الضلالة، واستكبروا عن قبول الحق استكبارًا شديدًا، فهم عطّلوا الأسماع والأبصار والقلوب عما خلقت له.

﴿٨﴾ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾

ثم إني رفعت صوتي لهم بالدعوة، وأعلنت رسالتي في مجامعهم ومجالسهم، فلم يأتِ النقص من قِبَلِي في التبليغ، وإنما من جهتهم في الإعراض.

﴿٩﴾ ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾

ثم إني أخفيت صوتي بدعوتي، فمرة أرفع الصوت إذا كثر الجمع، وبُعدَ المخاطب، ومرةً أخفضه إذا قربت منهم، أو كان المدعو واحدًا، والمعنى ما تركت طريقةً تصلح للدعوة إلا سلكتها.

﴿١٠﴾ ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾

وأمرتهم باستغفار الواحد القهار، فإنه غفّار الذنوب، ستّار العيوب، يقبل من تاب، ويرحم من أناب. والاستغفار هنا يتضمن التوحيد والتوبة.

﴿١١﴾ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾

ومع الاستغفار ينزل الله الأمطار؛ لأن الغيث من آثار رحمته -سبحانه- التي تتنزل على المستغفرين؛ لأن الذنوب تمنع القطر.

﴿١٢﴾ ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾

ومع الاستغفار والتوبة يرزقكم الله الذرية الصالحة، والأموال الكثيرة والرزق الواسع، وينبت لكم الحدائق الغناء، والبساتين الفيحاء، لتنعموا بفوائد الأشجار والثمار والأزهار، ويهيئ لكم العذب الغزير من الأنهار.

﴿١٣﴾ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

ما لكم - أيها الفجار - ليس عندكم وقار للواحد القهار، فلا تخافون عذابه ولا ترجون ثوابه.

﴿١٤﴾ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾

وقد خلقكم على مراحل، نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا ولحمًا، فهو الذي تولى وحده الخلق والتصوير والرزق، فحقه أن يُعبد.

﴿١٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾

ألم تنظروا في السماء وخلقها البديع؟ كيف جعلها الله سبعًا شدادًا بعضها فوق بعض في إحكام وإتقان، تدل على تمام القدرة، وكمال القوة.

﴿١٦﴾ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾

والله جعل القمر في هذه السموات نورًا لأهل الأرض، يستضيئون بنوره في الظلام، وهو برهان على روعة هذا البناء والنظام وجعل الشمس كالسراج الوهاج تسطع على العالم بنورها وتكشف الظلام بضيائها.

﴿١٧﴾ ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾

والله أنشأ أصلكم، وخلق أباكم آدم من التراب ونفخ فيه الروح، فمادتكم من الطين، وأصلكم من الثرى.

﴿١٨﴾ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾

ثم يعيدكم بعد الموت مدفونين في الأرض، ثم يبعثكم من القبور إلى يوم النشور للحساب، فإما ثواب أو عقاب فمن الأرض الأصل وإليها العود ومنها البعث.

﴿١٩﴾ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾

والله مهَّد لكم الأرض للعيش عليها وفرشها لمزاولة الحياة على ظهرها، وبسطها للناس.

﴿٢٠﴾ ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾

لتسلكوا في الأرض طرقًا واسعة للذهاب والإياب في منافعكم، وكسب رزقكم وحلِّكم وترحالكم.

﴿٢١﴾ ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾

قال نوح: يا رب، إن قومي خالفوا أمري وبالغوا في تكذيبي، وأكثروا من عصياني واتبع الفقراء منهم الأغنياء في الضلال، واقتدى الضعفاء بالرؤساء في التكذيب، فلا صاحب المال والولد نفعه ماله لما كذب، ولا نجاه ولده من العذاب.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾

ومكر الكبراء بالضعفاء مكرًا عظيمًا، وخدعوهم بجاههم ومالهم عن الهداية، ولبّسوا عليهم بفتنة المال حتى صدوهم عن الحق.

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾

وقال الرؤساء للضعفاء: لا تتركوا عبادة أصنامكم إلى عبادة الله وحده التي دعا إليها نوح، ولا تتركوا عبادة الأصنام ود ولا سواع ولا يغوث ولا يعوق ونسرًا التي هي أسماء قوم صالحين سموها بأسمائهم، ثم عبدوها من دون الله.

﴿٢٤﴾ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾

وقد أضل الرؤساء الضعفاء وزينوا لهم الباطل وأغروهم بالغواية، فيا ربنا لا تزد هؤلاء الظالمين لأنفسهم بالفساد إلا بعدًا عن الحق والرشاد؛ لأنهم أضلوا العباد.

﴿٢٥﴾ ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾

فبسبب ذنوبهم أُغرقوا بالطوفان، ثم أُحرقوا بالنيران؛ لإمعانهم في العصيان والطغيان فلم ينصرهم أحدٌ من دون الرحمن.

﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾

فلما يئس نوح من قومه دعا عليهم فقال: يا رب، أهلك الكفار ولا تترك منهم أحدًا حيًا يدور على وجه الأرض ويتحرك على البسيطة؛ ليقطع منهم الأثر، وينتهي عقبهم من الدنيا.

﴿٢٧﴾ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾

إنك يا ربنا إن تركت الكفار دون إهلاك صدوا عبادك عن الحق، وأضلوهم عن الرشد، وفتنوهم في دينهم، ولا يلد الآباء من الأصلاب إلا كل كافر كذاب، ولا تنجب النساء من الأرحام إلا كل مرتكب للآثام.

﴿٢٨﴾ ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

يا رب اغفر لي ذنوبي، واغفر لوالدي، واغفر لمن اعتنق ديني، ودخل بيتي وهو مؤمن، واغفر لكل مؤمن ومؤمنة مدى الدهر، وقد شملتنا دعوته عليه السلام، فجزاه الله خيرًا، ثم قال: ويا ربنا لا تزد الكافرين إلا هلاكًا في الدنيا، وعذابًا في الآخرة، قال هذا بعد تجربة طويلة، وعمر مديد، فيه تَعِبَ من عتاة الكفار.

مكية

سورة الجن

ترتيبها ٧٢

آياتها ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾

قل - أيها النبي -: إن الله أوحى إليَّ أن جماعة من الجن قد استمعوا وأنصتوا للقرآن، فلما سمعوه تأثروا به وقالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآنًا بديعًا في بلاغته وفصاحته، عجيبًا في نسقه وسياقه، جميلاً في عرضه وإشراقه، يأخذ بالألباب، وينفذ إلى النفوس، ويخترق حُجُب الضمير.

﴿٢﴾ ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾

وهذا القرآن يدل على الحق، ويدعو إلى البر، فصدقنا به واتبعناه، ووحدنا ربنا ولن نشرك به أحدًا في ألوهيته.

﴿٣﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾

وأن الله تقدّس وتنـزَّه وتعالت عظمته ما اتخذ زوجةً ولا ولدًا، بل هو أحدٌ صمد، لم يلد ولم يولد.

﴿٤﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾

وأن الجاهل بالله منا كان يفتري على الحق وينسب إليه الصاحبة والولد؛ سفهًا وظلمًا تعالى الله عن ذلك.

﴿٥﴾ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾

وأنا كنا نعتقد أن أحدًا من الجن والإنس لا يستطيع أن يفتري على الله من نسبة الولد والصاحبة.

﴿٦﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

وقد كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن، فزاد هؤلاء الرجال باستجارتهم الجن طغيانًا وسفهًا وعتوًّا، وهذا شرك، ومثله إتيان السحرة والكهان.

﴿٧﴾ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾

وقد اعتقد كفار الإنس كما اعتقدتم - أيها الجن - أن الله - تعالى - لن يبعث أحدًا بعد الموت، فهم كفروا بالله واليوم الآخر.

﴿٨﴾ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾

وأننا صعدنا إلى السماء لاستماع حديث أهلها، فوجدناها تغيرت علينا بعد البعثة المحمدية، فقد امتلأت بالملائكة الحراس، والنجوم المحرقة التي يُرمى بها من يستمع منا.

﴿٩﴾ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾

وقد كنا قبل البعثة نتخذ من السماء مقاعد لسماع الحديث، أما الآن فمن يقترب للسماع يحرقه الشهاب، وفيه إبطال دعوى الكهان والعرّافين من نسبة كلامهم إلى خبر من السماء.

﴿١٠﴾ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾

ونحن لا ندري هل يُراد بأهل الأرض بهذا التغير هلاك ودمار؟ أم يريد الله بهم خيرًا وهدى، فما ندري ماذا حدث؟

﴿١١﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾

ومنا معشر الجن أولياء وأتقياء، ومنَّا فسقة أشقياء، فنحن مذاهب شتى، لسنا على صفةٍ واحدة.

﴿١٢﴾ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾

وأنّا نعتقد أن الله محيط بنا، ونحن تحت سلطانه، فلن نفوته إذا شاء أن يهلكنا في الأرض، ولن نقدر على الهرب في السماء من بطشه.

﴿١٣﴾ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾

وأننا لما أنصتنا للقرآن صدقنا به أنه من عند الله، فمن يؤمن بألوهية ربه، فلا يخشى نقصًا من حسناته، ولا زيادة في سيئاته، فالله لا يظلم أحدًا.

﴿١٤﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾

وأنّا منّا المنقادون لطاعة الله، الخاضعون له، ومنّا الجائرون الذين حادوا عن الصراط المستقيم، فمن أطاع الله واتبع رضوانه، فهؤلاء سلكوا طريق الحق، وهم الذين اهتدوا بهدى الله، وآمنوا به واتبعوا رسله، فهم الأبرار؛ لأنهم اجتهدوا في حسن الاختيار.

﴿١٥﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

وأما الجائرون عن الطريق المستقيم، فهم من أصحاب الجحيم، يصلون حرّها ويعانون عذابها، فالعدل أن من كذَّب في النار يُعذّب.

﴿١٦﴾ ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾

ولو أن كفار الإنس والجن استقاموا على طاعة الله، وأخلصوا له العبادة، وأحسنوا الاتباع لرسوله ولم يحيدوا عن سبيله؛ لأنزل الله عليهم من السماء غيثًا مدرارًا، ولرزقهم رزقًا هنيئًا، فعاشوا في عيش رغيد، وعمر سعيد.

﴿١٧﴾ ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾

لنختبرهم ولنعلم من يشكر ومن يكفر، فمن صدَّ عن طاعة الله وغفل عن عبادته ونسي ذكره أدخله الله العذاب الشديد، وأهانه في الآخرة بإدخاله نار جهنم.

﴿١٨﴾ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

وأن المساجد يُعبد فيها الله وحده، فلا تجوز عبادة غير الله، ولا صرف شيء من العبادة لغيره، فأخلصوا له الطاعة من عبادة ومسألة وخوف ورجاء، فإن المستحق لها هو الله وحده.

﴿١٩﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾

وأن رسول الله ﷺ لما قام ليلة الجن يصلي لربه اجتمع الجن حوله صفوفًا متراصة حتى أوشكوا أن يلتصقوا بالرسول ﷺ من شدة حرصهم على السماع.

﴿٢٠﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾

قل لهؤلاء الكفار: إنني أعبد الواحد القهار، ولا أُشرك في عبادته أحدًا، بل أُوحِّد له الطاعة أبدًا، فهو أحق أن يُعبد، وهو أهل أن يُوحَّد.

﴿٢١﴾ ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

قل للكفار: أنا لا أستطيع أن أجلب لكم نفعًا ولا أدفع عنكم ضرًا، ولا أضلكم ولا أهديكم، فكل ذلك لله وحده، إنما أنا نذيرٌ بعذاب، وبشير بثواب.

﴿٢٢﴾ ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾

قل: لن يمنعني من عذاب الله أحدٌ إن عصيته، ولا أجد ملجأ أفرُّ إليه من العذاب غير الله، فلا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، فليفر العبدُ إليه، وليعتمد عليه.

﴿٢٣﴾ ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾

ولكن الذي أقدرُ عليه وأستطيعهُ هو الدعوةُ إلى الله، وتبليغ دينه، وإيصال رسالته التي ائتمنني على تبليغها، ومن عصى الله وخالف الرسول، فمأواه جهنم في العذاب المؤبّد جزاءً على جُرمه.

﴿٢٤﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾

حتى إذا أبصر الكفار النار التي وُعدوا بها في هذه الدار، حينها يعلمون من هو الضعيف الذي لا ناصر له، والقليل الذي لا جند معه، فهم الأضعف والأذل والأقل، والله الأقوى والأعز والأكثر.

﴿٢٥﴾ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾

قل - أيها النبي - للكفار: ما عندي علم بوقت العذاب الذي وُعدتم به، أقريب نزوله بكم أم بعيد وقوعه، فأنا منذرٌ بوقوعه ولستُ مخبرًا بوقته.